الأكاديمية الإسلامية
لدراسات الأديان والمذاهب

أسطورة مخطوطات

نجعْ حَمّادي وقُمران

مركز التنوير الإسلامي



وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾

(الأنعام)

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾

(البقرة)

اسم الكتاب : أسطورة مخطوطات نجع حمادي وقُمران
المــــؤلف : أبو إسلام أحمد عبد الله
تصميم الغلاف : د. إسلام أحمد عبد الله

الناشـــــر : مركز التنوير الإسلامي
عنوان المراسلة : القاهرة-كوبري القبة ـــ ١٠١شارع القائد
البريد الإليكتروني : abuislam_a@hotmail.com
الهاتف : ٤٨٤٤٦٠٤ ـــ ٤٨٥٧٥٧٣القاهرة

رقم الإيداع : ٢٠٠٦/٣٠١٩
الترقيم الدولي : ٥-٠٧٩-٢٨٩-٩٧٧

(*) استخدمت حرف (ص) بمعنى: إشارة إلى التقويم الصليبي المعروف خطأ بالتقويم الميلادي، وفي داخل الكتاب استخدمت حرف (غ) بدلاً من حرف (ص) إشارة إلى التقويم الغربي الصليبي، خشية الخلط بين حرف (ص) الذي يشير إلى كلمة صفحة.

مقدمة

كثيراً كثيراً احتلت مسألة المخطوطات مساحة كبيرة من ذاكرة العقل المسيحي المعاصر ، وكانت كما القارب الذي شاء الرب أن يرسله للمسيحيين ليثبتوا لأنفسهم ولو على سبيل المجاز ، أن كتب البشارات التي بين أيديهم ، تتوافق مع مثيلة لها منذ قرون طويلة ، بما يؤكد صحة هذه البشارات التي يتعبدون بها في الكنائس ، ويبشرون أبناءهم أن هذه الكتب العديدة هي من عند الله ، وأنها موحى بها إلى الرسل ، وإن يكن وحياً غير الذي عند المسلمين ، إنما هو وحي وكفى .

ودارت الحوارات والمساجلات بين المسيحيين وغيرهم حول تلك المخطوطات التي لم يرها أحد ، ولم يكن من حق المتعبدين بها في مشارق الأرض والغرب أن يروها حتى يومنا هذا ، ولا أظن أن أحداً سوف يراها ، وأمكن وضعها في خزائن حديدية كزخيرة الموتى ، لا يراها إلا من يأذن له البابا.

ومما يثير العجب أن المسيحيين في بلادنا ، وعن طريق الضخ اللاشعوري للعنصرية ، يؤمنون إيماناً جازماً أن هذه المخطوطات هي ذاتها التي بين أيديهم ، وأنها تتطابق مع أحدث طبعات كتبهم رغم قدمها ، مما يؤكد عندهم صدق وسلامة هذه الكتب.

والذي يثير الشفقة ، أن أحداً لم يسأل : لماذا عوملت هذه المخطوطات كما لو كانت أسراراً عسكرية ، فلا أحد يعرف مكانها إلا في المتاحف ، ولا أحد يمكن أن يراها بغير إذن ، أما التي انتهت لأيدي الصهاينة فلا أحد يراها بإذن أو بغير إذن.

ولعل أشهر المخطوطات التي يتحدث عنها مسيحيّ بلادنا ، مخطوطات نجع حمادي ومخطوطات وادي قمران .

ومهم أن ألفت النظر أن مضمون هذه المخطوطات لو كان قد اتفق مع ما بين أيدي اليهود والمسيحيين ، لما ترددوا لحظة واحدة إلا وجعلوها مطبوعة في كل

مكتبات الدنيا ، غير أننا لا نعدم رؤية هذه المخطوطات فقط ، إنمـا نعـدم أيـضاً الكتب والدراسات التي تكشف عن أسرارها .

وبسبب هذا اللغط الذي يدور في الأوساط الدينية المسيحية والدارسين والباحثين رأيت أن أعرض لوجهتي نظر حول هذا الموضوع ، لنقف بأنفـسنا علـى تلـك المسرحيات التي تأخذ نصيب الأسد من العقول ، فتغرقها فيما هي لا تحتاج إليـه ، وتنأى بها عما يجب أن تقف عنده .

وقد رأيت أن أبدأ بطرح وجهة نظر مسيحية ، استدعيتها من أحـد مـواقعهم الإلكترونية ، ثم أدلفت برؤية موضوعية لحقيقة هذه المخطوطات التي جعلوا منـها أسطورة يحكونها لأولادهم في الصغر ، حتى أصبحت عقيدة راسخة لا تقبل التردد في الكبر ، وكلهم يقين أن أولادهم لم ولن يسألوا:

ـــ إذا كانت هذه المخطوطات هي الأصل ،

ـــ وإذا كانت هي المقدس الأول ،

فلماذا يخفيها باباوات الكنيسة؟

ولماذا يكون الأصل مختفياً والمترجم هو المسموح به؟

وكيف يصبح التعدد في النسخ والاختلاف فضيلة؟

ولنبدأ بعرض وجهة النظر المسيحية:



ما المخطوطة ، وما فائدتها لنا اليوم ؟

المخطوطة تعني الوثيقة التي دونت بخط اليد ، سواء كانت كتابة ، أو بـالحفر (أي النقش) .. لذا تسمى مخطوطة ، وجمعها مخطوطات . وأما بخصوص مخطوطات الكتاب المقدس ؛ فإنه يعلم كل من درس شيئاً عن المخطوطات القديمة أن هناك آلافاً من المخطوطات القديمة سواء كانت للعهد القديم أو للعهد الجديد أو الكتاب المقدس بكامله ، وهذه المخطوطات موجودة في مختلف متاحف العالم الشهيرة . والاكتشافات الحديثة لبعض المخطوطات تعطينا مزيداً من اليقين بشأن صحة الكتاب المقدس كما هو بين أيدينا اليوم ، والذي يقارن بين مخطوطات الكتاب المقدس القديمة ، ومخطوطات بعض الكتابات الكلاسيكية القديمة أيضاً ، مثل كتابات هوميروس وما إلى ذلك ، يدهشه حقاً أن يرى توافقاً كبيراً بين مخطوطات الكتاب المقدس ، بينما تظهر اختلافات كثيرة بين مخطوطات سائر تلك الكتابات الأخرى رغم ما تحظى به من شهرة عالمية كبيرة.

كيف يحدد العلماء تاريخ المخطوطات بدقة

يستطيع العلماء أن يحددوا تاريخ المخطوطات المختلفة بدقة عن طريق استخدام جهاز خاص لذلك يقوم بتحليل الحبر أو المادة المكتوب عليها وفحص ما يسمى بالكربون المشع أو الكربون رقم ١٣ كما يمكن التعرف على تاريخ كتابة المخطوطات من نوع الخط المكتوب به كالكوفي والكوفي المعدل والنسخ في اللغة العربية ، وفي الكتابة بحروف منفصلة أو حروف متصلة في المخطوطات اليونانية ، وما إلى ذلك

: ومخطوطات الكتاب المقدس الموجودة بين أيدينا اليوم تعود في تاريخ نقلها عن مخطوطات سابقة إلى سنوات قريبة جداً من تاريخ كتابة نسخها الأصلية ، بينما نجد أن أقدم مخطوطات كتابات أفلاطون مثلاً تعود إلى ١٣٠٠ سنة بعد وفاته ، ولا توجد مخطوطة لكتابات ديموشين أقدم من ١٢٠٠ سنة بعد وفاته .



وبينما دون تاسيتوس أربعة عشر كتاباً في " التاريخ " عام ١٠٠ ميلادية تقريباً ، لا يوجد لدينا اليوم منها سوى مخطوطات أربعة كتب ونصف ، يعود أقدمها للقرن التاسع الميلادي ! يوجد لدينا اليوم أكثر من عشرة آلاف مخطوطة للكتاب المقدس أو أحد أجزائه .

ماذا تخبرنا المخطوطات عن الكتاب المقدس؟

بكل تأكيد تخبرنا هذه المخطوطات بقدم الكتاب المقدس ، وأصالته ، وأيضاً بعدم تحريفه . وإذا تأملنا تواريخها لوجدنا بأن البعض منها يرجع إلى زمن يسبق من يقولون بتحريفها . وإليك عرض لبعض هذه المخطوطات

أولاً: شهادة المخطوطات للعهد الجديد

. يقول أ. ت . روبرتس مؤلف أقوى كتاب في قواعد اللغة اليونانية للعهد الجديد : أنه يوجد نحو عشرة آلاف مخطوطة للفولجاتا اللاتينية ، وعلى الأقل ألف مخطوطة من الترجمات القديمة ، ونحو ٣٥٠٠ مخطوطة للعهد الجديد بكامله [هذا كذب فاقع] ، كما يوجد لدينا اليوم ٢٤ ألف مخطوطة لأجزاء من العهد الجديد ، كما أننا نقدر أن نجمع أجزاء كثيرة من العهد الجديد من اقتباسات الكتاب المسيحيين الأولين ، وإليك أسماء وتواريخ بعض المخطوطات .

مخطوطة جون رايلاند ١٣٠ غ.

في مكتبة مانشستر بإنجلترا وهي أقدم المخطوطات ، وقد وجدت في مصر ، بها بشارة يوحنا [فقط وبالضرورة مختلفة]، مع أن المعروف أن هذه البشارة كتبت في آسيا الصغرى . وهي تؤكد أن البشارة كتبت حوالي نهاية القرن الأول الميلادي .

مخطوطات تشستري بيتي ٢٠٠ غ.

موجودة في متحف بيتي في دبلن ، وجزء منها في جامعة ميتشجان ، وهي من ورق البردي ، وتحتوي ثلاثة منها على معظم العهد الجديد . وهي أقرب المخطوطات إلى النص الأصلي من جهة تاريخية



بردية بدمر ١٥٠ ــ ٢٠٠ غ

موجودة بمكتبة بدمر وتحوى معظم إنجيل يوحنا ، وهى أهم مخطوطة بعد مخطوطات تشستر بيق ، وكثيرون من العلماء يرجعون بتاريخها إلى منتصف القرن الثاني ، إن لم يكن إلى النصف الأول منه.

النسخة الفاتيكانية ٣٢٥ ــ ٣٥٠ غ

موجودة فى مكتبة الفاتيكان وتحوى كل الكتاب المقدس تقريباً ، وهى من أثمن مخطوطات الكتاب المقدس باليونانية .

النسخة السينائية ٣٥٠ غ

موجودة فى المتحف البريطانى ، وتحوى كل العهد الجديد ما عدا (مرقس ١٦: ٩- ٢٠ ، يوحنا ٧: ٥٣- ٨: ١١)كما تحوي أكثر من نصف العهد القديم ، وقد عثر عليها تشندروف فى سلة للمهملات في دير جبل سيناء عام ١٨٤٤م ، وسلمها الدير هدية لقيصر روسيا ١٨٥٩ م واشترتها الحكومة البريطانية من الإتحاد السوفيتى بمائة ألف جنيه يوم عيد الميلاد سنة ١٩٣٣ غ

النسخة الإسكندرية ٤٠٠ غ

بالمتحف البريطاني ، وتقول الموسوعة البريطانية أنها المخطوطات القديمة ، وتحوى كل الكتاب المقدس تقريباً وهذه المخطوطات القديمة ، وغيرها كثير ، تظهر :

(أ) أن مخطوطات الكتاب المقدس أكثر جداً من مخطوطات أي كتاب قديم آخر .

(ب) أن تاريخ المخطوطات الموجودة عندنا قريب جداً من تاريخ كتابة النص الأصلي [الذي لا وجود له ولم يره أحد] ، إذا قارنا ذلك بأي مخطوطة أخرى لأي كتاب قديم .

ويقول ف زهورت الذي قضى ٢٨ سنة في دراسة نصوص العهد الجديد : " إن الكثرة من مخطوطات العهد الجديد والتي يعود الكثير منها إلى العصور الأولى التي

تكاد تتصل بتاريخ كتابة النص الأصلي ، تجعل نص العهد الجديد يقف فريداً بين كل الكتابات الكلاسيكية القديمة ، ولا تدانيه في ذلك أي كتابات أخرى " .

مخطوطات العهد القديم وحده

يرجع تاريخ أقدم مخطوطة للعهد القديم إلى القرن الأول الميلادي أو ربما القرن الثاني ، وهي جزء من مخطوطة مكتوبة على ورق البردي تُعرف باسم " بردية ناش " وتشمل الوصايا العشر كما نجدها في الإصحاح الخامس من سفر التثنية ، وكذلك : " اسمع يا إسرائيل ... " (سفر التثنية ، الإصحاح السادس ، والآيات من ٤ – ٦ ، وهي التي بمثابة إقرار إيمان شعب الله القديم . كما عثر أيضاً على أجزاء كثيرة من العهد القديم ، والتي يعود بعضها إلى القرن الخامس الميلادي التي اكتشفت في مجمع اليهود بحي مصر القديمة بالقاهرة . على أن أهم المخطوطات ذات الشأن التي كانت بين أيدينا قبل اكتشاف مخطوطات البحر الميت عام ١٩٤٧ هي ما يلي

- **مجلد القاهرة** الذي اكتشف في مجمع اليهود بمصر القديمة بالقاهرة ويشمل كتابات الأنبياء وتاريخ كتابته سنة ٨٩٥م.
- **مجلد لينينجراد** الخاص بالأنبياء ويشمل نبؤات إشعياء وأرمياء وحزقيال والأنبياء الصغار الإثني عشر ، وتم نسخه عام ٩١٦م.
- **مجلد حلب** يشمل العهد القديم بكامله وتاريخ كتابته ٩٢٥م.
- **مجلد المتحف البريطاني** يشمل الكتب الخمسة الأولى وتاريخه ٩٥٠ ميلادية .
- **مجلد روشلين** يشمل الأنبياء وقد تم نسخه عام ١١٠٥م.
- **مجلد لينينجراد** نُسِخ عام ١١٠٨م، ويشمل العهد القديم كله.

وهناك أيضاً بردية ترجمة يونانية لحوالي خمس عشرة عدداً من سفر التثنية ، تعود بنا إلى القرن الثاني الميلادي وهي موجودة في مكتبة جون رايلاندز في مانشستر بانجلترا.

إلا أن مخطوطات البحر الميت (قمران) والتي اكتشفت في منطقة خرائب قمران في الساحل الشمال الشرقي لمدينة القدس ، وضعت بين أيدينا دُرجين لسفر إشعياء أحدهما يشمل النص كاملاً ، ويعود للقرن الثاني قبل الميلاد ، والدرج الآخر ضاعت بعض أجزائه ، ومعه سفر حبقوق وتفسير له . وقد اكتشفت كل هذه في الكهف الأول ، ودأب علماء الحفريات والبدو على البحث والتنقيب في هذه المنطقة ما بين سنة ١٩٥٢ و سنة ١٩٥٦ واكتشفوا مزيداً من النصوص في عشرة كهوف أخرى فوجدوا في الكهف الحادي عشر ٤١ مزموراً من المزامير التي بين أيدينا اليوم ، كما اكتشفوا أجزاء من أكثر من مائة درج أخرى تشمل بعض الآيات من كل أسفار العهد القديم ما عدا سفر أستير .

وتعود هذه المخطوطات إلى القرنين الأول والثاني قبل الميلاد . ويلاحظ كل من يدرس هذه النصوص أنها تتطابق مع بعضها تطابقاً كاملاً مع النص الموجود بين أيدينا اليوم ، فيما عدا بعض الاختلافات الطفيفة التي يتوقع المرء أن يجدها نتيجة نقل مخطوطة عن مخطوطة أخرى على مدى قرون طويلة.



مخطوطات البحر الميت

(مخطوطات البحر الميت) هو الاسم الذي يطلق على مجموعة من المخطوطات ترجع في أصلها إلى جماعة دينية قديمة كانت تعيش بالقرب من البحر الميت .

الاكتشافات الأولى : لا نعلم على وجه اليقين متى اكتشفت أولى هذه اللفائف ، ولكن الأرجح أن ذلك حدث في سنة ١٩٤٧ . فقد جال أحد البدو يبحث عن شاته الضالة فدخل إلى أحد الكهوف في المنحدرات العالية في وادي قمران على بعد نحو ميل إلى الغرب من الطرف الشمالي الغربي للبحر الميت . وعلى بعد يزيد قليلاً عن ثمانية أميال إلى الجنوب من أريحا . تعثرت أقدام البدوي في عدة جرار يبلغ ارتفاع الجرة منها أكثر من قدمين ، ونحو عشر بوصات في العرض ، وجد بها رقوقاً من الجلد ملفوفة في نسيج من كتان ، فأخذها من الكهف وذهب بها لأحد محال التحف الأثرية في بيت لحم ، فاشترى البعض منها ، ووصل الباقي إلى يد رئيس دير السريان الأرثوذكسي في أورشليم.

وقام عدد من العلماء بفحص اللفائف في ١٩٤٧ ، وقد ظن البعض في البداية أنها مخطوطات مزيفة ، ولكن أ . ل . سوكنك من الجامعة العبرية بأورشليم ، أثبت أنها مخطوطات أثرية قديمة واستطاع شراء ثلاث منها ، ونقلت بعض المخطوطات إلى المعاهد الأمريكية المختصة بالأبحاث الشرقية ، حيث تحقق مديرها مستر ج . تريفر من قيمتها ونجح في تصويرها ، وأرسل بعض صورها إلى و.ف.أولبريت — العالم في الأركيولوجية الكتابية . وقد قرر هذا العالم أن هذه اللفائف تعتبر أهم كشف لمخطوطات العهد القديم ، وهو ما أيدته الأبحاث التالية.

وعندما تأيدت أهمية هذه اللفائف ، قامت الحرب بين العرب والصهاينة في سنة ١٩٤٨ ، فحالت دون تحديد موقع الكهف الأول والتنقيب فيه تنقيباً علمياً ، وهو ما قام به في ١٩٤٩ ج.ل.هاردنج من إدارة الآثار الأردنية ، ومستر ى.ديفو من

مدرسة التوراة في أورشليم فاستطاعا استعادة مئات القصاصات من المخطوطات الكتابية وغير الكتابية ، والأبوكريفية التي لم يكن بعضها معروفاً من قبل . لقد كان الكهف مستودعاً لمكتبة تتكون من نو مائتي لفافة ، ويحتمل أن الأيدي قد امتدت إليها من قبل إذا صحت رواية يوسابيوس من أن أوريجانوس استخدم ترجمة يونانية لسفر المزامير وجدت في كهف بالقرب من أريحا . وقد تكون هي نفس المكتبة التي وصفت بأنها " بيت الكتب الصغير " الذي وجده أحد الرعاة بالقرب من أريحا في نحو عام ٨.. م ، وبلغ خبره البطريرك النسطوري تيموثاوس الأول .

وكانت الحرب الفلسطينية دافعاً إلى نقل اللفائف ، التي كانت في حوزة البطريرك السرياني إلى الولايات المتحدة في ١٩٤٨ حيث نشرها م.باورز ، ج.تريفر ، و هـ . براونلي . وقد اشتملت هذه اللفائف على لفافة كاملة لنبوة إشعياء ، وتعليق على سفر حبقوق ، ووثيقة أطلق عليها باروز اسم "كتاب النظام" لأنه كان يشتمل على القواعد التي تحكم حياة الجماعة في قمران ولم يمكن في البداية فض إحدى اللفائف التي ظنوا في البداية أنها "سفر لامك" الأبوكريفي ، فلم تفتح اللفافة إلا في ١٩٥٦ وثبت أنها الإصحاحات الأولى من سفر التكوين بصياغة أخرى وقد نشر في ١٩٥٦ تحت اسم "التكوين الأبوكريفي"

أما اللفائف التي حصل عليها أ.ل.سوكنك ، فكانت تشتمل على لفافة غير كاملة لسفر إشعياء ، ومخطوطة عن الحرب ، وأربعة أجزاء من مجموعة من ترانيم الشكر ، وقد نشر كل المجموعة في ١٩٥٤ ، يادين بن سوكنك ــ بعد موت أبيه ــ تحت عنوان :" كنز اللفائف المخبوءة". كما نشر دكتور بارثلمي، ج.ت.ميليك القصاصات التي وجدت في الكهف الأول في قمران في ١٩٥٥ تحت اسم "قمران ــ الكهف الأول"

ثم تتالت الاكتشافات من عام ١٩٥١ وحتى عام ١٩٥٥ ، ولكن على ما تدل هذه المخطوطات ؟



مستوطنة قمران

عندما بدأ التنقيب في منطقة قمران رسمياً في ١٩٤٩ ، لاحظ العلماء الأركيولوجيون بعض الخرائب على هضبة صخرية تبعد نحو ميل إلى الجنوب من الكهف الأول . وبعد الفحوص الأولية ، بدأ التنقيب في كل هذه الخرائب في عام ١٩٥٢ مما أسفر عن اكتشاف جرة سليمة تماثل في الحجم والشكل الجرار التي وجدت في الكهف الأول بمنطقة قمران ، مما دل ـــ بلا أدنى شك ـــ على وجود صلة مباشرة بين من كانوا يشغلون هذه الخرائب التي سميت " خربة قمران " والمخطوطات التي وجدت في الكهف الأول ، وواضح أن جماعة دينية عاشت يوماً ما في ذلك الموقع ، وهم الذين خلفوا وراءهم الوثائق التي وجدت في الكهوف المجاورة . كما وجدت مقبرة متصلة بالخربة بها هياكل عظمية لرجال ونساء ، مما أيد وجود هذه الصلة . وقد كشفت الحملات التي تلت ذلك عن كل آثار تلك الجماعة .وكان في الركن الشمالي الغربي من المبنى الرئيسي ، برج كبير حصين ، يبدو أنه قد تم ترميمه وتدعيمه عقب زلزلة شديدة في ٣١م، أحدثت به تلفاً في الجانب الشرقي وفي الركن الجنوبي الشرقي منه . وكان المبنى الرئيسي للجماعة يشغل مساحة ١٢٠قدماً مربعاً تقريباً في الجانب الشمالي من حجرة الطعام والمطبخ .

وإلى الجنوب الغربي كانت توجد خمس حجرات ، لعلها كانت تستخدم أماكن للدراسة والصلاة . وكان في إحدى الغرف (غرف النساخ) بقايا مقاعد رخامية ، يرجح جداً أن بعض لفائف قمران قد كتبت فوقها . ووجود محبرتين من العصر الروماني إحداهما من الخزف والثانية من النحاس الأصفر ، ساعد على تحديد التاريخ بدقة.

وفي الركن الجنوبي الشرقي من الموقع ، أزاح المنقبون التراب عن بقايا مصنع به الآلات التي كان يستخدمها أعضاء الجماعة .كما اكتشف قمينة للفخار بالقرب من المكان ، مما دل على أن الجماعة كانت مكتفية ذاتياً . كما كان يوجد بالموقع

مراحيض وقنوات وأحواض للمياه .وتدل كثرة الأحواض والخزانات على أن تلك الجماعة الدينية كانت شديدة الاهتمام بطقوس الاغتسال ، كما أن مجتمعاً من ٥٠٠ شخص مثلاً ، يحتاج إلى موارد كبيرة للمياه ، ويظن أن تلك الجماعة كانت تستمد احتياجاتها من الحبوب والخضراوات واللحوم من "عين فشكة" ، وهي واحة نخيل تقع على بعد ميلين إلى الجنوب من الخربة على الشاطئ الغربي للبحر الميت.

كما أن قطع الفخار والنقود التي وجدت في أثناء التنقيب ساعدت بدورها على تأكيد الصلة بين تلك الطائفة الدينية ولفائف قمران ، وقد جاءت قطع الفخار من ثلاثة مستويات ، تمثل ثلاثة عهود مختلفة ، هي بالتقريب : من ١١٠ ــ ٣١ ق.م ، من ١ – ٦٨م ، من ٦٦ – ١٠٠م على التوالي ، وفي أواخر ١٩٥٤ وجدت غرفة المخزن للمبنى الرئيسي ، جرة اسطوانية من نفس شكل وحجم الجرار التي وجدت في كهف قمران الأول ، مما دعم أكثر وجود الصلة بين تلك الطائفة ومخطوطات الكهوف . كما عثر أيضاً على نقود تمثل عصور الولاة الرومانيين على اليهودية ، وكذلك ثلاث وعشرون قطعة من عهد هيرودس أغريباس الأول (٣٧ – ٤٤م.) ، وترجع بعض النقود إلى ما بعد سقوط أورشليم في سنة ٧٠م ، بينما عثروا في المستوى الأول على نحو اثني عشرة قطعة من النقود ترجع إلى زمن الثورة اليهودية الثانية.



مجتمع الأخوة في قمران

أصلهم

لقد أوضحت الخصائص العامة لجماعة قمران من المخطوطات التي اكتشفت ، وبخاصة من محتويات كتاب نظام الجماعة (من الكهف الأول) ، ولو أننا لم نصل إلى معرفة كل ما نريد عنهم ، فما زالت هناك مسائل عن طبيعة شركتهم لم نجد لها حلاً .

كانت الطائفة تتكون من جماعة من الكهنة والعلمانيين يحيون حياة مشتركة في تكريس متزمت لله . وقد كشفت أسرار النبوة لمؤسس الطائفة وهو كاهن يوصف بأنه " المعلم البار " . وكان من أهم مظاهر حياة الجماعة تفسير الكتب المقدسة بما يتفق مع شهادة الطائفة ونهاية الدهر . وقد أرسل الله " المعلم البار " ليعلن الدينونة التي ستحل بإسرائيل . وبناء على ما جاء في تفسير حبقوق ، لقد عرف المعلم البار من مضمون النبوة أكثر مما عرفه النبي نفسه ، ورغم التأخير – حسب الظاهر – فإن النهاية ستأتي ، ولكن " بقية " ستنجو ، وهذه البقية هي جماعة قمران التي أرضت الله بولائها للتوراة وإيمانها بـ "المعلم البار".

وقد رفض هذه الرسالة رفضاً باتاً ، الكاهن الشرير وأتباعه الذين يهتمون بحرفية التوراة لا بروحانيتها . وواضح أن الإشارة إلى الكاهن الشرير كانت تعني رئيس الكهنة في أورشليم حيث يقال عنه " الحاكم في إسرائيل " والذي يحمل "الاسم الحقيقي" . وحيث توجد إشارة واضحة لرياسة الكهنوت ، فلا بد أنه قد حدث صدام معين في بدء تاريخ الجماعة ، بين "المعلم البار" ورئيس الكهنة الأورشليمي ، لأن التفسير يتحدث عن اضطهاد الكاهن الشرير للمعلم البار والإضرار به جسدياً ، وقد بلغ الدم ذروته في يوم الكفارة حين قضى الكاهن الشرير على المعلم البار وجعل أتباعه يعثرون . وهذه بلا شك ، إشارة إلى موت القائد.

إن قانون الجماعة بالغ الأهمية لمعرفة نظام تلك الطائفة التي كانت تتكون من مجموعة من الكهنة و العلمانيين يعيشون حياة مشتركة في تكريس لله . وبناء على ما جاء في "كتاب النظام" ، كان على الذين يرغبون في الدخول إلى "العهد" أن يخضعوا لبعض الطقوس التمهيدية ، يوضعون بعدها تحت الاختبار ، ويحصلون على العضوية الكاملة بعد ثلاث سنوات . وكان يجب على كل عضو أن يجدد كل سنة تعهده بالطاعة . وفي نفس الوقت يحذر من الأخطاء التي تؤدي إلى طرده من الجماعة . ويبين العمود الخامس من "مخطوطة النظام" القواعد المختصة بإدارة الجماعة ، ويتضح منها أن الجماعة كان يحكمها الشيوخ والكهنة للانشغال بدراسة الكتاب والاشتراك في نوع من العبادة السرية.

وكانت الطائفة تعتبر نفسها إسرائيل الحقيقي ، تنتظر إقامة الحكم السماوي على الأرض . وكان انتظار ظهور المسيا يتردد كثيراً في فكر الجماعة ، لأن أعضاء الجماعة كان يطلب منهم أن يعيشوا حسب التوراة حتى يأتي النبي وشخصان مسياويان يسميان "مسيحي هرون وإسرائيل". . وفي وثيقة معنونة باسم "المؤلف الصدوقي" — عن جماعة دينية تعرف باسم "متعاهدي دمشق" ، شديد الشبه بجماعة قمران ، وكثيراً ما خلط بينهما العلماء — يُذكر "مسياهرون وإسرائيل" ، وهكذا يحدد انتظارهم لشخص واحد . ونجد ملخص مفاهيمهم للمسا في وثيقة جاءت من الكهف الرابع تحتوي على سلسلة من الآيات الكتابية ، فتبدأ بالوعد لموسى بقيام نبي مثله (سفر التثنية ١٨ : ١٨) وتذكر أقوال بلعام (سفر العدد ٢٤ : ١٥ — ١٩) وتختتم ببركة موسى (التثنية ٣٣ : ٨ وما بعدها) ، ثم اقتباس من كتاب زائف مجهول .

ويصور لنا " قانون الجماعة " المسيا مشتركاً في وليمة في العصر الجديد ، وكان الحاضرون يجلسون بحسب مقامهم . وقام الكاهن الرئيسي ببركة الخبز والخمر ، ثم قام المسيا — الذي كان يشغل مركزاً ثانوياً — ببركة الطعام أيضاً . وواضح أن

الوليمة رؤوية ، ولو أنه قد أجريت في نفس الوقت بعض الأسرار المقدسة . وكــان توقعهم للأحداث التي ستسفر عن الملكوت السماوي ، هي الموضــوع الرئيــسي للمواعظ . وكانت الجماعة تعتقد أن الملكوت سيظهر بعد هزيمــة "الكتــيم" مــن الأقطار المختلفة ، وخروج إسرائيل منتصرة ، وسيكون لها نظام ثيوقراطي وذبــائح وكهنوت أشبه بما جاء في حزقيال .

وكانت للتطهيرات الطقسية مكانة كبيرة في ممارسات الجماعة ، وكانوا يجلبــون كميات كبيرة من المياه لهذه الأغراض ، وكانوا يشددون على المفــاهيم الروحيــة لتلك الطقوس ، فكانوا يؤكدون بوضوح أن التطهير الحقيقي يتم بهذه الطقوس متى توفرت التوبة الحقيقية والخضوع لله . وكانوا يدرسون التوراة نهاراً وليلاً في قمران ويحفظون الأعياد المقدسة بكل تدقيق . ويظن أن " المتعاهدين " كانوا يعتنقون فكراً ثنائياً عن الكون الذي فيه أرواح النور وأرواح الظلمة ، الله والشرير ، في تعــارض أخلاقي كما في الزرادشتية ، ولن ينتهي الصراع بينهما إلا في يوم الدينونة ، الــذي هو موضوع " لفافة الحرب " في وصف المعركة بين أبناء النور وأبناء الظلمة ، والتي كان يجب على الجماعة الاستعداد لها . ورغم ميلهم للثنائيــة ، كــان الأعــضاء يتمسكون بالصدق والعدالة والتواضع والتكريس ، محاولين تحقيق هــذه الفــضائل بحياتهم المنضبطة .

علاقتهم بالأسينيين

كثيراً ما قيل عن جماعة قمران بأنهم أسينييون ، ولكن رغم الكثير مــن وجــوه الشبه مثل حياة الأديرة ، والعمل اليدوي ، والتكريس الروحي ، فإن هناك وجــوه اختلاف واضحة بينهما ، فجماعة قمران يختلفون عن الأسينيين بممارستهم الــزواج وتقديم الذبائح الحيوانية ، كما أنهم لم يكونوا مسالمين ، وقد تجنبوا كل اتصال بالعالم الخارجي ، ولو أن يوسيفوس قد ذكر أن كلمة " أسينيين " كانــت فــضفاضة في استخدامها . ويحسن في الوقت الحاضر ألا نعتبر جماعة قمران جماعة أســينية بمعــنى

الكلمة حيث أنهم قد يكونون أقرب جداً "للمغاريين" سكان الكهوف الذين ظهروا في أوائل العصر المسيحي .

جماعة قمران والمسيحية

حاول بعض العلماء أن يروا في جماعة قمران إرهاصاً واضحاً بالمسيحية باعتبـار أن أقوى وجوه الشبه هو المعلم البار بالمسيا ، والحياة المنضبطة المنظمـة الـتي لهـا أسرارها المقدسة . ولكن جماعة قمران لم تعتبر مطلقاً أن مؤسسها هو المـسيا ، ولم تكن حياة الدير عندهم شبيهة بالحياة المسيحية في عصرها الأول ، كما أن الأسرار المقدسة في الإنجيل لها أسس لاهوتية تختلف عن أسس جماعة قمران ، كما أن الفكر المسيحي عن الخطية والكفارة يختلف تماماً عن فكر جماعة قمران . والقول بأن يوحنا المعمدان بل ويسوع نفسه قد قضيا وقتاً للتعلم في مقر الجماعة ، إنما هو محض تخمين ، حيث توجد – في الواقع – اختلافات جوهرية بين لاهوت وممارسـات جماعـة قمران ، وبين حياة وتعاليم يوحنا المعمدان وحياة وتعاليم المسيح مما ينفي وجود أي صلة بهم . وبالرغم من استناد جماعة قمران وكذلك يسوع ، إلى الإعلان الإلهي في العهد القديم ، فإن الشبه الوحيد بين تعاليم جماعة قمران وتعليم المسيح ينحـصر في الإصحاح الخامس من إنجيل متى ، كما أن أصداء أسلوب قمران في العهد الجديـد تقتصر على بعض العبارات مثل " ابناء النور " ، " الحياة الأبدية " ، " نور الحياة " ، " أعمال الله " ، و " ليكونوا واحداً "

أهمية مخطوطات البحر الميت

مخطوطات قمران بالغة الأهمية في دراستنا الكتابية للفترة بين العهدين القديم والجديد ، فهي في الدرجة القصوى من الأهمية لتحقيق نصوص العهد القديم . فدراسة هذه المخطوطات تؤيد أن النص الميسوري جدير بالثقة وتبين الدقة المتناهية التي انتقل بها طيلة العصور ، كما يمتد هذا التأييد للسبعينية والسامرية .

ومع أن مخطوطات قمران مازالت في حاجة إلى دراسة دقيقة ، فإنه من الجلي الواضح أن المخطوطات ليس بها ما يمس سلامة الإيمان المسيحي ، كما حدث عند ظهور المخطوطات ، بل بالحري لقد أثبتت صحة الكثير مما كنا نؤمن به من جهة الأسفار المقدسة ، بل بالحري قد جعلت من اللازم أن يراجع النقاد الكثير من نظرياتهم .

والآن نعود إلى السؤال المطروح : ماذا تخبرنا المخطوطات عن الكتاب المقدس ؟

هل تعرف الإجابة الآن، نأمل في ذلك !



~*~

ثم ننتقل الآن إلى وجهة نظر أقل عنصرية ، وأبعد عن الوهم الأسطوري ، وأقرب إلى الصدق والعقل والقبول واحترام الذات، لنقف على الصورة الغائبة عنا من ناحية الآخر ، ونستوضح معالم الأسطورة التي زيفت التاريخ والمعتقد .

~*~

لم يحظ شخص بذلك الكم من الخلاف والاختلاف، كالذي حظي به شخص يسوع المسيح ، فبينما يرى البعض أنه كـــل شيء وأنه الطريق والحياة ، يرى البعض الآخر أنه لا شـــيء، وأنه مجرد شخصية رمزية تخيلية لم يكن له أي وجود حقيقي.

وكثيرون في الوسط بين هذين الطرفين ، فمن يرى أنه نبي مرسل وكان مـــيلاده معجزة ومن يرى أنه قائد حركة إصلاحية ومن يرى أنه تلميذ نجيب لطائفة معينـــة، سعى لنشر تعاليمها ، والكثير الكثير من الآراء التي طرحت وستطرح بشأن ذلـــك الرجل الذي أصبح تاريخ ميلاده أساساً للتقويم الذي تسير عليه الكرة الأرضـــية ، رغم أن عام ميلاده ذاته غير محددة !!

في هذا المبحث ، سنسعى سوياً إلى التعرف على يسوع المسيح بـــصورة مختلفـــة قليلاً عن تلك الصورة النمطية الشائعة التي علقت في أذهاننا، سنتعرف عليه مـــن خلال بعض الاكتشافات الأثرية الهامة والتي كان ينبغي لها أن تقلب كل المسلمات الدينية السائدة وأن تدفع بعلماء الدين واللاهوت والإنسانيات ، إلى البحث المضني وفحص الأدلة ووصل الليل بالنهار ، وألا يرمش لهم جفن قبل إجلاء الحق وكشف المستور ، غير أن الواقع يحتم علينا أن نعترف بأن أولئك العلماء كان لديهم أمـــوراً أهم يدافعون عنها ، ألا وهي مناصبهم ومصالحهم.

في الفترة بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٥٦ عثر بالقرب من البحر الميت في مناطق قمران ، ومربعات ، وخربة ميرد ، وعين جدي ، ومسادا ، في الأردن ، على مجموعة من المخطوطات القديمة ، فقد بدأت الكشوف الأثرية بعثور صبي صغير من قبيلة التعامرة التي تتجول في المنطقة الممتدة من البحر الميت إلى بيت لحم. على سبعة جرار فخارية مخبأة داخل كهف في منطقة قمران بالقرب من البحر الميت.

وتوالت الاكتشافات بعد ذلك بمساعدة الأثريين والجيش الأردني وقبيلة التعامرة التي نال أهلها شهرة كبيرة بعد أن اتضحت القيمة الهائلة لتلك المخطوطات ، وخاصة بعد ظهور مخطوطة نحاسية تتكلم عن كنز مفقود ، قدّره الأثريون بأكثر من ٢٠ طن من الذهب و ٤٠ طن من الفضة.

تم العثور على ١١ كهفاً يحتوون على مخطوطات محفوظة داخل جرار فخارية أو على آلاف القصاصات الممزقة من مخطوطات لم يتم حفظها بعناية مكتوبة باللغتين العبرية والآرامية والعديد من العملات الرومانية والأقمشة وعلى أطلال القرية القديمة التي عاش بها أصحاب تلك المخطوطات ، مما ساعد على تحديد الفترة الزمنية التي عاش فيها أولئك السكان بدقة متناهية باستخدام المسح الذري ومن خلال مقارنة العملات المعدنية بمثيلاتها.

وقد تأكد العلماء من أن هذه الآثار والمخطوطات تعود للفترة من ٢٠٠ ق.م ، إلى منتصف القرن الأول الميلادي تقريباً.

فور العثور على هذه المخطوطات والتأكد من قيمتها الأثرية والتاريخية تم تشكيل لجان لترجمة المخطوطات ولتجميع ما تمزق منها اعتماداً على شكل الخط ونوع الحبر وحجم الأجزاء المقطوعة ، مهمة مضنية أخذت من العلماء وقتاً طويلاً ، أدى إلى تأخر الإفصاح عن محتويات بعض المخطوطات حتى عام ٦٧ حين سقطت القدس

في أيدي جيش الاحتلال الصهيوني، وعندها توقفت عمليات البحث والترجمة للمخطوطات وإلى سقوط متحف القدس في أيدي اليهود حيث حفظت تلك المخطوطات وتدخلت السلطات الصهيونية بشكل أغضب الأثريون في مسار البحث العلمي، ويبدو لكثير من الباحثين أن الفاتيكان كان حريصاً هو الآخر على عدم إجلاء الحقيقة كاملة .. كما أن العرب والمسلمون أبدوا عدم اكتراث بالأمر وكأن الأمر لا يعنينا في شيء، مما ساهم في بقاء جزءً كبيراً من هذه المخطوطات مجهول المحتوى، صحيح أن السلطات الصهيونية قد أعلنت في التسعينات عن أنها قد أظهرت كل المخطوطات وأن عملية الترجمة قد تمت بالكامل ، وتبنت بعض المجلات الأمريكية المتخصصة نشر محتويات تلك المخطوطات التي أذاعتها السلطات الصهيونية ، إلا أن الكثير من الباحثين يؤكد عكس ذلك ويؤكد أنه لا يوجد أي دليل على أن السلطات الصهيونية قد سمحت لجميع المخطوطات بالظهور.

لكن تبقى الحقيقة بأن جزءً كبيراً جداً من هذه المخطوطات كان قد تم ترجمته ونشره حتى الفترة السابقة لعام ١٩٦٧، فما الذي تحتويه تلك المخطوطات النادرة والتي أراد لها البعض أن يطويها النسيان؟

مخطوطات البحر الميت. الجزء الثاني

عثر في كهوف قمران على ثلاثة أنواع من الكتابات هي: كتابات توارتية تدخل في قانون العهد القديم وكتابات لأسفار لا تدخل في قانون العهد القديم وكتابات خاصة بالجماعة التي عاشت في تلك المنطقة.

فمن هم أولئك الذين عاشوا في تلك المنطقة واختبأوا في الكهوف ودفنوا كتبهم الدينية في الجرار الفخارية؟

أصبح من المتفق عليه بين الباحثين أن مخطوطات البحر الميت ما هـي إلا مكتبـة الجماعة القديمة التي تعرف بالإنجليزية باسم "إيسيز" ، ويرى عباس محمود العقاد في كتابه عبقرية المسيح ، بعد اطلاعه على ما نشر في الخمسينات من مخطوطات البحر الميت ، أن نساك قمران هم طائفة يهودية متشددة في رعايتها للأحكـام الدينيـة وانتظارها للخلاص القريب بظهور المسيح، وأنها من أقرب الطوائـف الإسـرائيلية للتطهر من أدران المطامع والشهوات وأنها كانت لها نظمها الخاصة فيقسم العـضو الجديد مرة واحدة فقط يمين الأمانة والمحافظة على سر الجماعة ويحرم عليه القـسم بعد ذلك مدى الحياة .. وهم مؤمنون بالقيامة والبعث ورسالة المـسيح المخلـص ويرجح أن إسمهم مأخوذ من كلمة آسي بمعنى طبيب، أي أن العقاد أطلـق علـيهم لقب الأطباء.

يختلف مع عباس العقاد في أصل كلمة "إيسيز" الكثيرون، منهم الأسـتاذ أحمـد عثمان _ أحد أساتذة التاريخ المصريين والذي أستعين بكتابه القـيم : مخطوطـات البحر الميت في هذا العرض _ فيرى أن اسم تلك الجماعة قد ورد ذكره في مراجع تاريخية مختلفة (غير مخطوطات قمران ذاتها) فقد ورد في كتابات فيلـو جودايـاس ويوسيفوس وبليني الكبير باليونانية هكذا " إيسينوي" أو "إيـسايو" وكـان اسـم الشخص المنتمي للجماعة هو "إيساوي" وقد اتفق الباحثون على أن مصدر تلـك الكلمات ليس يونانياً ولكنها لغة سامية ، ويرى الباحثون أن هذه الجماعة كان لهـا علاقة قوية بتلاميذ النبي إشعياء الذين انفصلوا عن يهود المعبـد وراحـوا يعـدون الطريق في البرية لمجيء المخلص عند آخر الأيام، وإسم إشعياء بالعبرية هو " يشع يا" مثل "يشوع" و "يسوع" ومعنى كل هذه الأسماء واحد وهو "خلاص الرب" واسـم يسوع باليونانية هو "إيسو" الذي هو"عيسى" بالعربية، ويعتقد الباحثون أن هنـاك ثلاثة من تلاميذ النبي إشعياء على الأقل كان اسمهم إشعياء أيضاً، لأن سفر إشـعياء كتب على مدى قرنين من الزمان، المهم أنه من المؤكد أن جماعة قمران كـان لهـا علاقة قوية بالنبي إشعياء وتلامذته فقد عثر في مكتبتها على عدد كبير من كتاباتـه

وكانوا يفسرونها تفسيرهم الخاص والذي احتفظوا به سراً وخاصة الأجزاء المتعلقة بأناشيد "عبد الرب" ومولد عمانوئيل وهي نفس النصوص التي اعتمد عليها كتبة البشارات في الإشارة إلى ميلاد يسوع المسيح ، لذلك فإن جماعة قمران يمكن وصفها بأنها جماعة اليسوعيين أو العيسويين ، أي اليهود العيسويين.

جميع المخطوطات التي وجدت كانت مكتوبة على رقائق من الجلد وبعضها كتب على أوراق البردي ، وواحدة فقط كتبت على رقائق نحاسية، معظمها كتب باللغة العبرية وقليل منها كتب بالآرامية ويوجد بعض الكتابات اليونانية البسيطة وبعض اللغات الأخرى.

بلغت الكتب التوراتية حوالي مائتي كتاب، فقد عثر على معظم كتب العهد القديم باستثناء كتاب أستير ، وإن كان بعضها لم يتبقى منه سوى قصاصات صغيرة، وأكثر نسخة وجدت كانت للمزامير (٢٧ نسخة) وسفر التثنية (٢٥ نسخة) وسفر إشعياء (١٨ نسخة) ، أما الكتابات التي لا تدخل في القانون المازوري للعهد القديم ولكنها كانت موجودة في الترجمة السبعينية القديمة فهي التي تعرف باسم " أبو كريفا" مثل سفر طوبيا وسفر حكمة بن سيرا والجزء المكتوب باليونانية من إرميا.

كما توجد كتابات كتبت في الفترة ما بين القرنين الأول والثاني قبل الميلاد ورفض الأحبار اعتبارها كتب مقدسة وتعرف باسم "بسوديبجرافا" ، إلا أن الترجمة اليونانية لهذه الكتب حفظها المسيحيون مثل عهود الأسباط الاثنى عشر وسفر إينوخ ، فيبدو أن جماعة اليسوعيين اليهود كانت تدخلها ضمن مكتبتها.

كذلك عثر على عدد من الكتابات التفسيرية تعتمد على التفسير الرمزي لكتابات العهد القديم وليس على أساس حرفية النص كما كان الكهنة يفعلون .

أما النوع الثالث من المخطوطات فهي التي تحتوي على كتابات خاصة بجماعة اليسوعيين مثل "كتاب التلاميذ" و "مخطوطة دمشق" و" مزامير الشكر" ومخطوطة الحرب".

يطرح ذلك السؤال نفسه بشدة في عقل القارئ : ما مدى الاختلاف والتشابه بين أسفار العهد القديم المتداولة حالياً وتلك المعثور عليها في كهوف قمران؟

بداية نوضح أن هناك ثلاثة أنواع من كتابات العهد القديم هي:

– وفقاً للقانون العبري المازوري وهو الذي وضعه أحبار اليهود في نهايات القرن الأول للميلاد كمحاولة منهم لحسم الخلاف الواقع بينهم وبين المسيحيين حول تفسير أسفار العهد القديم ، فقاموا بمراجعة جميع الكتابات الموجودة لديهم وتقرير ما يمكن أن يتم إدراجه فيما يعرف باسم القانون ، أي ليكون من كتابات العهد القديم. وأقدم نص موثق لهذا القانون يعود للقرن العاشر الميلادي ، وفقاً للترجمة السبعينية وهي الترجمة التي أعدها مجموعة من كتبة القدس الذين استحضرهم بطليموس الثاني إلى مكتبة الإسكندرية ليقوموا بترجمة كتبهم من العبرية إلى اليونانية، وقد ظل النص السبعيني هو المستخدم في كافة الكنائس الشرقية حتى القرون الوسطى، بينما استخدمت الكنيسة الغربية النص اللاتيني المعروف باسم الفولجاتا Vulgate الذي ترجمه القديس جيروم في القرنين الرابع والخامس من النصوص العبرية والآرامية المتوفرة في ذلك الوقت، والتي يعتبرها علماء النقد النصي أقل أهمية من النسخة السبعينية لاعتمادها على نصوص متأخرة، رغم أن مجمع ترنت قد اعتبرها النسخة الأصلية للكنيسة في القرن السادس عشر .

ونتيجة للخلافات التي وقعت في العالم المسيحي الغربي في العصور الوسطى حول الترجمات المختلفة للكتاب المقدس، بعد قتل تندال Tyndale والحكم بهرطقته

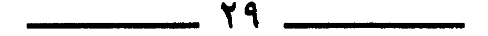
لقيامه بترجمة العهد الجديد مباشرة من النسخة اليونانية وليس اللاتينية، فقد أمر الملك جيمس في القرن السادس عشر، (٧٤) عالماً بترجمة الكتاب المقدس بالرجوع إلى النص المازوري للكتاب المقدس العبري، وبالرجوع إلى النص اليوناني (البيزنطي) لاسطيفانوس لترجمة العهد الجديد، مما أظهر خلافات عديدة بين النص المازوري والنصوص الأخرى، بما فيها الفولجاتا .

فمثلاً يحتوي النص السبعيني (كذلك الفولجاتا) على الأسفار التي ينظر إليها على أنها أسفار مشكوك فيها والتي تعرف باسم "أبوكريفا" والتي لا يحتويها النص المازوري، وتعترف الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية بأسفار الأبوكريفا كأسفار قانونية – مع وجود خلافات بينهم حول بعض الأسفار – بينما يرفض اليهود والبروتستانت الاعتراف بها .

– توجد طائفة صغيرة جداً تعيش في منطقة نابلس لديها كتابها المقدس الذي لا يحتوي إلا على الأسفار الخمسة الأولى (التوراة) وتعيش هذه الطائفة في هذه المنطقة منذ القدم ولم تغادرها قط ، وتعتقد الجماعة أن كتابها يعود أصله للنبي موسى، ويختلف النص السامري لهذه الأسفار الخمس بعض الاختلافات عن النص العبري والنص السبعيني.

أول نص تم ترجمته ونشره من مخطوطات البحر الميت كان سفر إشعياء في عام ٥٢ وكان هذا النص متطابقاً تماماً مع النص العبري المازوري المستخدم حالياً وأي اختلافات طفيفة كانت بسبب الترجمة وأسلوب المترجم ولم يعتبرها الباحثون اختلافات ذات قيمة.

وعند ترجمة أجزاء من سفر صموئيل وجد أن هناك اختلافات جوهرية بينها وبين النص المازوري ، ولكنها تتطابق تقريباً مع النص السبعيني ، وعند ترجمة بقية سفر صموئيل وجد اختلافات بينها وبين كلا النصين المازوري والسبعيني.



وبترجمة أجزاء من سفر الخروج وجد أنها تتفق مع النص السامري في المواضع التي يختلف فيها مع النص المازوري والنص السبعيني.

وفي واقع الأمر فإن مخطوطات البحر الميت لم تحسم الجدال أو الخلاف لصالح أحد النصوص الثلاثة لكتابات العهد القديم ولكنها أظهرت وجود نص رابع قد يتفق مع أي من السابقين في مواضع ويختلف معهم في مواضع أخرى، وبعض هذه الاختلافات اختلافات جوهرية في الأسماء والتواريخ والأحداث، فمثلاً يقول النص المازوري أن مدة بقاء بني إسرائيل في مصر هي ٤٣٠ سنة ولكن النص السامري والنص السبعيني ونص مخطوطات قمران يشيرون إلى أن تلك المدة هي فترة بقاء بني إسرائيل في كنعان ومصر أي أنها منذ مجيء إبراهيم إلى كنعان وحتى خروج بني إسرائيل من مصر.



من هم اليسوعيون اليهود؟ متى نشأت حركتهم ومتى انتهت وما هي خصائصها؟ .. ما هي أوجه الاختلاف بينهم وبين اليهود في عصرهم وبين اليهود الآن ؟ .. وهل هناك علاقة بين أولئك اليسوعيين وبين المسيحية كدين أو كأشخاص؟

يقول الباحثون أن طائفة اليسوعيين ينتمون لتلاميذ النبي إشعياء وأنهم قد انفصلوا عن بقية اليهود المعروفين باسم يهود المعبد وأخذوا طريقهم في البرية للتمهيد لخَلاص الرب كما تنص تعاليم إشعياء.

بعد عودة اليهود من السبي البابلي، نجح الكهنة في جمع الناس على الديانة اليهودية التي أقاموها استناداً إلى تفسيرهم الخاص للتوراة فقط وعدم اعتبار كتب الأنبياء جزء من الكتاب المقدس، وقد كان لطائفة الكهنة ثقل اقتصادي ، لحصولهم على العطايا والتبرعات التي يتقدم بها اليهود، ومع كون المناصب الكهنوتية حكراً لعائلات بعينها فقد شكلوا طبقة اجتماعية ثرية متميزة.

كون أولئك الكهنة مع كبار التجار جماعة عرفت في ذلك الوقت باسم "الصدوقيين" وكانوا هم المتحكمين في الشعب عن طريق تحكمهم في العبادة وطقوسها من ناحية وتحكمهم في المال والتجارة من ناحية أخرى.

وكان الصدوقيين يعتقدون بأن الروح تموت مع الجسد، وكانوا يطبقون التوراة تطبيقاً حرفياً ولا يستخدمون العقل والنطق — مثل القياس — في تفسيراتهم، وعلى ذلك لم يؤمن الصدوقيين بخلود الروح ولا بالقيامة والبعث بعد الموت ولا بالحساب ولم يؤمنوا بوجود كائنات من الجن والملائكة ، وكان ذلك هو تفسيرهم الصارم للوحدانية وفقاً لفهمهم للتوراة ، التي تخلو من أي ذكر للملائكة أو الجن أو الشياطين أو خلافه.

في مقابل الصدوقيين الذين أقاموا ديانتهم على كتب التوراة الخمسة فقط ، فقد كان هناك العيسويين Essenes الذين جعلوا من تعاليم الأنبياء وكتبهم جزءاً من الكتاب المقدس وقد أدى هذا العصيان إلى محاربة الكهنة لهم فانفصلوا عن الحياة في المدن الكبرى الخاضعة لسيطرة الصدوقيين وخرجوا إلى البرية – تنفيذاً لتعاليم إشعياء – أصبحوا يمارسون عبادتهم سراً.

بالرغم من السرية والانعزالية التي كان عليها أولئك اليسوعيين إلا أن أخبارهم قد سجلها بعض المؤروخون اليهود واليونانيون مثل جودایاس ويوسيفوس وبليني وذكر أولئك المؤرخون أن اليسوعيون عاشوا في الجزء الشمالي الغربي من البحر الميت، وحسب الكتابات القديمة فإن أولئك اليسوعيين كانوا يعتبرون يهوداً إلا أنهم كانوا يختلفون عن بقية اليهود بإيمانهم بخلود الروح وبالقيامة والبعث والحساب وكانوا لا يشتركون مع اليهود في تقديم الذبائح بالمعبد ويؤمنون بالملائكة ويحفظون أسمائهم التي تعتبر من أسرار الطائفة ، وكان عدد اليسوعيين يقدر بأربعة آلاف شخص فقط عند بداية التاريخ الميلادي.

ينقسم اليسوعيين إلى قسمين ، قسم يعيش كالرهبان ، لا يتزوجون والقسم الآخر يتزوج ، ولكنهم جميعاً يبتعدون عن الشهوات وملذات الحياة، وكان المجتمع اليسوعي مثال للمجتمع الشيوعي (مفاجأة على ما أظن) فقد كان الأفراد المنتمين لهذه الجماعة يتنازلون عن كل ممتلكاتهم لصالح الجماعة ليشتركوا جميعاً في ملكية كل شيء، فقد كانوا يعتبرون أن الوجود المادي للإنسان هو وجود مؤقت فان وإن الحياة الحقة هي الحياة الروحية لذا فهم لا يخافون الموت بل يرحبون به.

غير أنهم كانوا يلتزمون في بناء هرمي صارم يقوده كهنتهم أو علماءهم وكان لا يجوز لعشرة أفراد منهم الاجتماع بدون كاهن، وكانت أمور الجماعة تسير عن طريق الشورى، وكانت رئاسة الجماعة تؤول إلى "الباقد" أو المراقب وهو المسئول عن الشئون الدينية و "المبقر" بمعنى الناظر وهو المسئول عن الشئون المالية.

يرتدي اليسوعيين رداءاً أبيض ويستيقظون مبكراً لأداء صلاة الفجر ثم التوجه إلى أعمالهم التي غالباً ما تكون أعمال الزراعة والرعي ثم ليعودوا عند الغروب ليؤدوا صلاتهم الثانية وكان التطهر بالماء قبل أداء الصلاة من أهم طقوسهم ثم يتناولون طعامهم الذي يتكون عادة من الخبز ونوع واحد من الخضروات.

لم يكن الانضمام للطائفة أمر سهل ، فالراغب في الانضمام يخضع لفترة اختبار لمدة عام فإن اجتازها بنجاح يسمح له بالمشاركة في الطقوس فقط لمدة عامين آخرين ، وبعدها يصبح عضواً كاملاً.

ومن الجدير بالذكر هنا أن الاسم الذي أطلقه اليسوعيين على أنفسهم هو "بريث حاداشة" ويعني "العهد الجديد"

أدى الخلاف بين اليسوعيين والصدوقيين إلى ظهور طائفة الفريسيين وهي طائفة جمعت بين أفكار الجماعتين وظهرت بوضوح في القرن الأول الميلادي ، تأثراً بالفكر الأفلاطوني الذي يعتقد بوجود العالم الميتافيزيقي (الغيبي).

كان الفريسيون يعتقدون بالقدرية ، فكل شيء مكتوب ولا يمكن تغييره ، إلا أنهم آمنوا بحرية الإرادة الإنسانية في الاختيار وبأن الله يساعد من يسير في طريق الخير، أما من يسير في طريق الشر فيتركه الله لاختياره هو.

وآمنوا بأن الأرواح الشريرة ستوضع في سجن أبدي بعد الموت تعذب فيه إلى الأبد ، أما الأرواح الخيرة فهي تعود إلى الحياة في جسد آخر ، أي أنهم آمنوا بتناسخ الأرواح.

وقد قال الفريسيون أن الله أعطى موسى شريعة شفهية إلى جانب الشريعة المكتوبة وقد وصلتهم عن طريق التواتر والتداول من جيل إلى جيل – وهي التي سجلوها بعد ذلك في التلمود – كما أنهم استخدموا العقل والمنطق في فهم النصوص.

بعد عام (٧٠) ص اختفت طائفة الكهنة بعد تدمير المعبد على أيـــدي الرومـــان وقتل جميع الكهنة ، فكانت هذه نهاية الصدوقيين ، وتولى الفريسيون بعد ذلك أمر الأمة اليهودية ، وقد رفض هؤلاء اليسوعيين وحاربوهم غير أن اليسوعيين لا يبدوا لهم أثراً بعد أن أخمد الرومان الثورة اليهودية التي قامت عام ٦٦ ميلادياً وســيطروا على منطقة قمران في عام ٦٨ ص.

كما حارب الفريسيون المسيحيين، ولا زالوا للآن بنتظرون المسيح ، بينما يعتقد اليسوعيين أيضاً بعودة معلمهم ليقود معركة أبناء النور ضد أبناء الظــلام لينتــصر المسيح العائد وينتهي الشر إلى الأبد.



من أهم المخطوطات التي توضح نظام حياة الطائفة وتعاليمها هي مخطوطة التلاميذ ودعونا نقرأ فقرة منها لنتعرف عليهم أكثر:

"على السيد أن يعلم التلاميذ أن يعيشوا تبعاً لنظام الجماعة، وأن يسعوا إلى الرب بكل قلوبهم وأرواحهم، وأن يعملوا ما هو صالح ومستقيم أمامه، كما أمر على يد موسى وكل عبيده من الأنبياء، وأن يحبوا كل ما اختار وأن ينبذوا كل ما كره، وأن يبتعدوا عن الشر ويلتصقوا بكل الأعمال الطيبة، ولسوف يقبل سيد الجماعة في جماعة عهد الحب الراسخ، كل من وهب نفسه بحرية لمراعاة فرائض الله ، وحتى ينضموا في جماعة الله ويعيشوا في كمال أمامه .. علمهم في حقيقة كمال الله وأن يخسروا قوتهم على حسب طريقته للتكامل ويخسروا كل أموالهم حسب مشورته الصادقة ، وعلى كل من يعتنق نظام الجماعة أن يدخلوا العهد الجديد أمام الله لطاعة كل وصاياه حتى لا يتركوه خلال فترة سيطرة الشيطان، خوفاً أو رعباً أو حزناً، وعندما يدخلوا العهد يقوم الكهنة واللاويين بتسبيح إله الخلاص وكل إيمانه ويقول بعدهم كل الداخلين إلى العهد ، آمين ، آمين ، كل أبناء الصلاح يحكمهم أمير النور وهم يمشون في طريق النور ، لكن أبناء النفاق يحكمهم ملاك الظلام ، وهم يمشون في طريق الظلام ، ويقوم ملاك الظلام بتضليل كل أبناء الصلاح ، وحتى نهايته فإن كل خطاياهم وآثامهم وشرورهم وأعمالهم الغير مشروعة تكون بسبب سيطرته"

وتحتوي المخطوطة كذلك على نظام العقوبات الخاص بالجماعة ، والتي كان الاستبعاد أو الحرمان من الوجبة المقدسة ، أحد العقوبات المطروحة لمن يخرق قانون الجماعة أو يهين زميله أو يكذب أو ما شابه. وهناك فقرة هامة تظهر روح البحث عن الحقيقة لدى أولئك اليسوعيين تقول:

" يجب ألا يخفي الأعضاء ــ خوفاً من روح الردة ــ أي من الأشياء الخافية على بني إسرائيل، والتي اكتشفها هو .. وعليهم أن ينفصلوا عن مساكن غير الــورعين من الرجال ، وسوف يرحلون إلى البرية لإعداد الطريق له، فكما هو مكتــوب (في سفر إشعياء) : في البرية أعدوا طريق الرب ، قوموا في القفر سبيلاً لإلهنا ، وهــذا الطريق هو دراسة الشرع الذي أوصاه على يد موسى وأن يعملوا بحسب كل مــا أوحى به من عصر إلى عصر، وكما بين الأنبياء عن طريق روحه القدس" .

العهد الجديد ، الروح القدس ، المحبة ، الخلاص ، القيامــة، خلــود الــروح ، الملائكة ، العشاء المسيحي ، التعميد بالماء ، والكثير الكثير من المــصطلحات الــتي تعلمناها من المسيحية ، ولكننا نجدها تتردد بوضوح شديد في تعــاليم اليــسوعيين اليهود، مخالفين بذلك تعاليم كهنة المعبد الصدوقيين.

فكيف تَلَقّى اليسوعيين في منطقة قمران القريبة من بيت لحــم ، أنبــاء مــيلاد المسيح المعجز ودعوته التي تتشابه مع دعوتهم إلى حد ملفت للنظر؟

لا توجد إجابة على هذا السؤال ، فقد خلت كل المخطوطات التي تمت ترجمتــها حتى عام ٧٦ (وأيضاً ما أظهرته السلطات الصهيونية بعد ذلــك) مــن أي ذكــر ليسوع المسيح ومن أي ذكر لحادثة قتل الأطفال في بيت لحم ومن أي ذكر لحادث الصلب في عصر بيلاطس الحاكم الروماني الذي حكم فلــسطين في الفتــرة بــين عامي٢٦ و ٣٦ ميلادياً ، فكأنهم لم يسمعوا بها أو لم تحدث قط.

غير أن المخطوطات تتحدث عن معلم لهذه الطائفة تسميه "المعلــم الــصديق" لا تذكر له اسماً ، أو تحدد فترة حياته التي يعتقد الباحثون أنها قد تكون قبــل نــشأة الطائفة اليسوعية ذاتها.

كانت نهاية هذا المعلم الصديق دموية ، والذي تسبب في موتـه هـو الكـاهن الشرير، وبحسب ما جاء في مخطوطة تفسير سفر حبقوق وكذلك مخطوطـة حـرب أبناء النور وأبناء الظلام، فإن الرب قد كشف له كل أسرار كلمات عبيـده مـن الأنبياء ، وهناك تشابه كبير بين المعلم الصديق ، وبين يسوع المسيح الذي نعرفه من كتابات العهد الجديد المسيحية ومن القرآن الكريم، يقول الباحث الفرنسي أندريـه دوبونت سومر : "كان تلاميذ المعلم الصديق يعتقدون أنه مثل يسوع المسيح، فهـو مختار الله ومخلص العالم ، وكلاهما عارض الكهنة، وكلاهما حكـم عليـه بـالموت، وكلاهما أعلن حكم الإدانة على القدس، وكلاهما كون جماعـة ينتظـر أعـضاؤها عودته في نهاية الأيام لحكم العالم".

بالطبع ، فقد اختلف الباحثون اختلافات شاسعة حول تفسير هذه الاكتشافات ، فهناك من رأى أن المعلم الصديق هو يسوع المسيح وأن الخطأ يكمن في التأريخ ، وإن كان لم يقدم تفسيراً لكتابات العهد الجديد المسيحية ووجودها، ومنهم من رأى أن يسوع المسيح هو شخصية خيالية لا وجود لها ، وأن من رسمهـا قـد اسـتمد صفاتها من شخصية المعلم الصديق ، بالإضافة لوضع بعض الصفات الـتي تحـدثت عنها كتابات العهد القديم والأديان المنتشرة في الإمبراطورية الرومانية ـــ كـالميلاد من عذراء ـــ

ومنهم من رأى أن يسوع المسيح هو أحد أفراد الطائفة اليسوعية ، وأنه سـعى لنشر تعاليم طائفته في لإمبراطورية الرومانية بعد أن نكلوا باليهود في فلسطين ، إلا أن هذا التفسير يعجز عن توضيح كيف لشخص واحد أن يروج لكل هذا الحجـم من الأفكار في وسط إمبراطورية ضخمة كالدولة الرومانية ، ومنهم من رأى بـأن يسوع المسيح كان له وجود سابق على وجوده المعروف خاصة في وجود تفسيرات

ترجع لآباء الكنيسة في القرون الأربعة الميلادية الأولى تقول بالوجود السابق ليسوع المسيح وبالطبيعة المزدوجة ليسوع وللمسيح (وهي غير قضية الطبيعة المزدوجة الشهيرة والتي تمثل أحد نقاط الخلاف بين الكنائس).

وقد أدى إخفاء جزء من المخطوطات إلى كثرة اللغط والاتهامات المتبادلة بين الجميع ، فمن يرى أن المعلم الصديق هو يوحنا المعمدان ومن يسعى لإثبات أن أجزاء من بشارة مرقص وأعمال الرسل وبعض رسائل بولس قد عثر عليها في قمران وأنها تم إخفائها ، ولم يسلم أحد من اليهود أو الكاثوليك المرتبطين بالفاتيكان ممن اشتركوا في لجان الترجمة والبحث من الاتهام بإخفاء الحقيقة.

كما جرت محاولات يهودية لتصوير جماعة قمران بأنها جماعة يهودية أصولية كانت تقاوم الرومان وأنها كانت متحالفة مع يهود المعبد ، وتسعى هذه النظرية إلى تصوير بولس على أنه مهرطق يهودي وأنه هو الكاهن الشرير ، ليس أكثر.

ولكن ، كيف تطور الفكر اليهودي من رفض كل الميتافيزيقيات (الغيبيات) باستثناء الإله يهوه ، إلى الإيمان بالبعث والخلود والقيامة والروح والملائكة ... إلخ؟



مما لا شك فيه عند أكثر الباحثين ، أن الفكر اليهودي قد مــر بمراحــل تطــور عديدة، وأنه قد تأثر بالثقافات التي اختلط بها وتعايش معها ، فموسى قد تــربى في مصر وتأدب وتعلم من آداب وعلوم المصريين، كما عاش اليهود سنوات طوال في الأسر البابلي ، وتحت الحكم الفارسي ، ودخلوا في صراعات مع الكنعانيين والتقوا بالفينيقيين واليبوسيين ، وغيرها من الحضارات ولشعوب التي عاشت في المنطقــة في الماضي.

صحيح أن من ينطلق من أفكار دينية مسبقة يعتبر أن اليهود قد حملــوا مــشعل التوحيد وأنهم هم من علم تلك الشعوب توحيد الإله الخالق وأنهم هم الذين أثــروا في الآخرين.

غير أن هذه النظرة العاطفية لا تقوم على أي دليل مادي ملموس، كما أن اليهود أنفسهم لا يدعون في كتابهم المقدس أنهم قد حملوا رسالة ما إلى العــالم ، فاليهوديــة القديمة وفقاً لتعاليم التوراة لم تسعى لخلاص الإنسان من الخطيئة أو من الــشرك أو من الوثنية .. ولكنها سعت إلى تنصيب بني إسرائيل سادة لهذا العالم .. وهذا هــو جوهر الديانة اليهودية الأصلية التي تأسست على يد موسى وخلفاءه،واليهوديــة لم تعرف عقاب أبدي للمخطئ كما عرف كل من المسيحية والإسلام، ولكن عرفــت الإبادة الجماعية لغير اليهود لأنهم ليسوا شعب الله المختار.

يرى البعض أن تسلل فكر الثواب والعقاب والجنة والنار والروح والجسد قــد تسلل إلى اليهودية من مصر ، ويعتمدون في ذلك على أن هذه المعتقــدات عرفهــا المصريون القدماء منذ قديم الزمن وحتى قبل إبراهيم.

كما يسعى أولئك عن طريق إثبات الوجود المصري في بلاد كنعان وســورية في عصور كثيرة مثل عصر تحتمس الثالث وأمنحتب وأخناتون ، إلى البحث عن خيوط تربط بين الاثنين.

ويقال أن أول معبد بني في القدس بناه فرعون مصري أمنحتب ، ولا يوجــد أي دليل تاريخي على أن مُلك الملك داود قد شمل مدينة القدس، بل ولم تصبح مدينــة القدس مقدسة عند اليهود إلا بعد عودهم من السبي البابلي، أما قبل ذلك فكانــت الأراضي المقدسة منتشرة في سيناء وفلسطين، ولم تكن القدس من ضمنها.

يؤكد جميع علماء الآثار أن الجرار الفخارية التي عثر عليها في منطقة قمــران ، هي صناعة مصرية ويؤكدون أن هذا النوع من الفخار لم يكن يصنع في فلسطين في ذلك الوقت وأنه مصنوع من طمي وادي النيل.

وهنا يطرح الباحثون تساؤلاً هاماً .. فاليسوعيون كانوا منعزلين ويــسكنون في البرية ، فمن أين أتوا بالجرار المصرية ؟؟؟ ... وحتى الآن لا توجد إجابــة قاطعــة حاسمة لهذا التساؤل.



كان اكتشاف مخطوطات البحر الميت باعثاً للأمل في العثور على أدلة قاطعة بشأن المسيحية والظروف التي نشأت فيها الحركة المسيحية الأولى، ولكن رغم التشابه الكبير بين عقائد جماعة اليسوعيين التي سكنت منطقة قمران وبين العقائد المسيحية ، إلا أن مساحة من الاختلافات الواضحة ظلت قائمة ، فاليسوعيون ظلوا جزءاً من الأمة اليهودية ، كما لا يوجد أي ذكر عندهم ليسوع المسيح أو للزمن الذي عاش فيه معلمهم الصديق الذي انتهت حياته نهاية دموية دون تحديد ما إذا كانت على الصليب أم بوسيلة أخرى.

وهو ما طرح من التساؤلات أكثر مما حمل من الإجابات ، وكأنه قدر على الإنسان أن تزداد حيرته كلما أوغل في المعرفة.

يلحظ الأستاذ أحمد عثمان في كتابه "مخطوطات البحر الميت" طباعة مكتبة الشروق – القاهرة أن تعاليم المسيحية التي نشرها بولس في رسائله وأيضاً المنشورة في سفر أعمال الرسل لا تذكر ميلاد بيت لحم أو الخروج من الناصرة كما لا تذكر واقعة صلب الرومان مثل أنها لا ذكر لها في كتابات قمران، وجماعة اليسوعيين كانت تنتظر عودة المعلم الصديق وتؤمن بقيامته كالمسيحية، كما ألقى بولس مسئولية مواجهة المسيح للموت على كهنة اليهود فإن اليسوعيين اعتبروا أن المتسبب في موت المعلم الصديق هو الكاهن الشرير ، وبينما كان اليهود يحتفلون بعيد الغفران "يوم كيبور" بتقديم الأضحية ، فإن اليسوعيين كانوا يقيمون مأدبة العشاء المسيحي بدون ذبيحة ، حيث اعتبروا أن معلمهم الصديق كان هو الأضحية في ذلك اليوم.

إلا أنني لاحظت أن هناك عدداً في سفر أعمال الرسل يقول : "ومع أنهم لم يجدوا علة واحدة للموت طلبوا من بيلاطس أن يقتله ، ولما تمموا كل ما كتب عنه أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبر " أع ١٣:٢٨،٢٩.

في ترجمة أخرى استبدلت كلمة "الخشبة" بكلمة "الصليب" ولا أعرف ماذا كانت في الأصل ، غير أن النص المذكور بلفظ الخشبة ، مكتوب على غلافه: مترجم مباشرة من النص الأصلي.

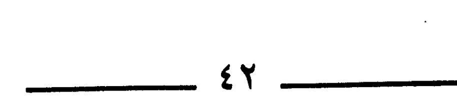
أما حادثة الصلب فلا يوجد لها ذكر إلا في البشارات الأربع المعتمدة ، كما أن الأناجيل القبطية (غير المعتمدة) التي عثر عليها في نجع حمادي بجنوب مصر لا تذكر حادثة الصلب ، بل أنها ...

قبل أن نعرف ما الذي تقوله تلك البشارات ، دعونا نتعرف على قصتها.

في عام ١٩٤٥ (أي قبل عامين من اكتشاف أول مخطوطات قمران) عثر محمد على السمان وأخوه خليفة بالقرب من جبل الطارف، على بعد عشرة كيلومترات شمالي مدينة نجع حمادي بصعيد مصر على زلعة مدفونة، تبين لهما عند إخراجها أن طولها يبلغ المترين ، وسرعان ما وجدت المجلدات القبطية طريقها إلى تجار الأنتيكات ، إلا أن وزارة الآثار قد فطنت للأهمية التاريخية لهذه المجلدات فأسرعت بجمعها ووضعها في المتحف القبطي ، لحين تأمين مبلغ لشرائها... إلا أن الثورة عندما قامت سنة ١٩٥٢ أممت هذه المخطوطات التي اعتبرت ثروة قومية ولم تدفع ثمنها لأحد .

فور الحصول على تلك المجلدات قرر وزير المعارف في ذلك الحين (الدكتور طه حسين) السماح للباحثين بالإطلاع عليها ، وأول ما قامت به اللجنة المشكلة لذلك هو تصوير كل الأوراق ونشرها في مجلد كبير في مدينة لايدن الهولندية ليتسنى لجميع الباحثين الإطلاع عليها.

عدد مجلدات مكتبة نجع حمادي القبطية كان ثلاثة عشر مجلداً ، واحد منها فقط خرج خارج مصر حيث اشتراه معهد يونج في مايو ١٩٥٢ وأهداه لعالم النفس الشهير كارلز جوستاف يونج- زميل فرويد – والذي كان متأثراً بفلسفة العارفين ، وبعد وفاة يونج ، أعيد هذا الكتاب إلى المتحف القبطي.



مكتبة نجع حمادي القبطية

بشارات لم تكن معروفة من قبل

تبين للباحثين بعد فحص محتويات الزلعة أنهم عثروا على مكتبة كاملة تحتوي على ١١٥٢ صفحة بها ٥٢ نصاً داخل ١٣ مجلد مكتوبة باللغة القبطية ، وهي اللغة التي جمعت بين المصرية القديمة واليونانية والتي استخدمها المصريون عند دخول البطالمة مصر واستخدموا الحروف اليونانية الـ ٢٢ وإضافة ٧ أحرف من كتاباتهم القديمة.

تبين أن المجلدات المصرية القديمة تحتوي على كتابات مسيحية خالصة ، لبعض الجماعات التي ظهرت في القرن الأول الميلادي وعرفت باسم جماعات العارفين أو الروحانيين **Gnostic** ، وهي تشبه إلى حد كبير جماعات الطرق الصوفية في وقتنا الحالي، ويقول العارفون بازدواجية الوجود : الروح والجسد ، العدم والوجود وهما في حالة صراع دائم ، وينشد العارفون الوصول إلى السلام النفسي عن طريق المعرفة — والتي هي في رأيهم ليست المعرفة التي يصل إليها الإنسان عن طريق التجربة والحواس (معرفة مادية) ولكنها المعرفة الروحية التي يصل إليها الإنسان عن طريق الروح الإلهية.. وهي التي لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق معرفة الإنسان لنفسه.

وفي سبيل تحقيق ذلك ، كان العارفين يتنازلون عن ممتلكاتهم ويخرجون إلى البرية حيث يعيشون حياة النساك ، ولا يأكلون سوى الخبز ولا يشربون سوى الماء ، فالمعرفة الروحية تتطلب إخضاع الجسد وشهواته للوصول إلى الصفاء النفسي ، وكانوا يقضون معظم أوقاتهم في التعبد وترتيل الكتابات التي عندهم أو في صياغة كتابات جديدة لإلقائها في الاجتماعات الأسبوعية.

من الصعب تحديد الفترة التاريخية التي ظهر فيها العارفون ، إلا أن هناك دلالات على وجودهم في القرن الأول قبل الميلاد ، حيث ذكر المؤرخ اليهودي فيلو جودايس وجودهم وسماهم "سرابيتيه" وتعني أهل السراب ، وذكر شهرتهم في

علاج الأمراض المستعصية باستخدام الأعشاب التي تنمو في الصحراء ، وكـــذلك علاجهم للأمراض النفسية.

ومن المؤكد أن المسيحية عندما انتشرت في مصر فإنها انتشرت بـــين صـــفوف العارفين ، بل وأن الأب يسيبيوس ـــ أول من كتب عن تاريخ الكنيسة ـــ ذكر أن جماعات العارفين كانوا يمثلون أول كنيسة مصرية.

عثر في مكتبة نجع حمادي على عدد من البشارات غير المعروفة من قبل أو غـــير المعتمدة ، من أهمها إنجيل توما (توماس) الذي يحتوي على ١١٤ قول للسيد المسيح ، وإنجيل مريم ، وإنجيل فيليب ، وإنجيل المصريين ، وإنجيل يهوذا ، وإنجيل الحـــق ، وكتاب جيمس ، ورؤيا بولس ، وخطاب بطرس إلى فيليب.. وغيرهم من الأناجيل والكتابات .

يرى الباحثون أن مكتبة نجع حمادي تعود للقرن الرابع المـــيلادي وأن الرهبـــان البخوميين قاموا بإخفاء مكتبتهم في الزلعة ودفنها خوفاً من أن تحرقهـــا الـــسلطات الرومانية إبان تحول الإمبراطورية الرومانيـــة إلى المـــسيحية في عهـــد الإمبراطـــور قسطنطين، ففي هذا الوقت تم إحراق معبد السرابيوم بالإســـكندرية وتم إحـــراق أغلب مخطوطات مكتبة الإسكندرية وحرق الكتابات المخالفـــة لتعـــاليم الكنيـــسة الرومانية.

من أهم الأناجيل التي عثر عليها في مكتبة نجع حمادي ، إنجيل توما ، فقبل العثور على مكتبة نجع حمادي بنصف قرن .. كان قد عثر على بعض القصاصات من ذات الإنجيل مكتوبة باللغة اليونانية في مصر أيضاً ، إلا أنها لم تكن تحتوي علـــى الـــنص الكامل للإنجيل أو إن القصاصات لم تكن كاملة.

أما الإنجيل الذي عثر عليه في نجع حمادي باللغة القبطية فهو كامل ويحتوي علـــى أقوال السيد المسيح ال١١٤.

في بداية نص الإنجيل وجد الباحثون هذه العبارة مكتوبة : "هذه هي الكلمـــات السرية التي قالها يسوع الحي ودوّنها ديديموس جوداس توماس"

ويرى بعض الباحثون أن اسم توماس هو نفسه تحتمس باللغة الفرعونية القديمة وجيمس هو يحمس باللغة المصرية القديمة .

يختلف الباحثون حول تاريخ تدوين هذه الكتابات ذاتها وهل هي سابقة أو تالية للأناجيل المعتمدة؟

فيرى بعضهم استناداً إلى ما ذكره الأب إيرانيوس أسقف مدينة ليون عام ١٨٠ ميلادياً من انتشار الكتابات المهرطقة من مصر إلى سائر أنحاء الإمبراطورية الرومانية مما يعني أن هذه الكتابات تعود لتاريخ سابق يسمح بتحقيق هذا الانتشار ١٨٠ص.

بينما يرى أساتذة الدراسات الإنجيلية أن هذه الكتابات التي اعتبرتها الكنيسة الرومانية كتابات مهرطقة لابد وأن تكون تالية للأناجيل المعتمدة التي يعود تاريخ كتابتها للربع الأخير من القرن الأول الميلادي، والنصف الأول للقرن الثاني الميلادي، فلابد أن كتابات نجع حمادي تعود لتاريخ متأخر عن هذه الفترة.

وحددوا القرن الثالث الميلادي لظهور هذه الكتابات أول مرة، ولإثبات ذلك حددوا ذلك التاريخ لظهور الكتابة القبطية ذاتها.

والفكرة السائدة لدى الباحثين الغربيين هي أنه رغم وصول الاعتقادات المسيحية إلى مصر خلال القرن الأول إلا أن المصريون لم يتحولوا إلى المسيحية إلا في القرن الثالث، ويرون أن الطوائف المسيحية التي ظهرت في البداية كانت إما من اليهود أو اليونانيون، وعليه .. فهم يرون باستحالة ظهور كتابات مسيحية قبطية قبل القرن الثالث.

أي أنهم حددوا القرن الثالث بأنها الفترة التي دخل فيها المصريون في المسيحية والفترة التي اخترعوا فيها الكتابة القبطية والتي ألفوا فيها الأناجيل القبطية الممنوعة!

بالرغم من وهن الاحتجاج السابق ، خاصة وأن الكتابة القبطية (التي هي خليط من اليونانية والمصرية القديمة) يعود زمان وجودها إلى تاريخ سابق للميلاد، حيث أنها نشأت مع دخول البطالمة مصر قبل الميلاد بثلاثة قرون.

ويوجد أدلة تاريخية على ذلك ، كبعض المراسيم الملكية البطلمية ، وكلوحة حارخيس (ملك نوبي قام بطرد البطالمة من بعض مدن جنوب مصر) وتعود للفترة بين عامي ١٩٩ و ١٨٦ ق.م).

صحيح أن اللغة القبطية شهدت تطوراً في القرن الثالث الميلادي، لكنها لابد وأن تكون مرت بمراحل انتقال من اللغة المصرية القديمة إلى التطعيم باليونانية إلى الاستقلال التام ، كما أن تحديد القرن الثالث الميلادي كتاريخ دخول المصريون في المسيحية لا يستند إلا إلى روايات الكنيسة الكاثوليكية .

إلا أن هؤلاء الباحثون قد واجهوا مشكلة حقيقية عند محاولة تحديد تاريخ كتاب توما، فهذا الكتاب لا يحتوي على سرد تاريخي لقصة حياة المسيح (كسائر الكتب المعتمدة وغير المعتمدة) ولكنه يحتوي على ١١٤ قول على لسان المسيح وكثير منها ورَدَ في الأناجيل المعتمدة وهناك أقوال أخرى غير واردة في تلك الأناجيل.

وورود تلك الأقوال بذلك الشكل البدائي وعدم وجود أي سرد تاريخي للأحداث يشير إلى قدم هذا الإنجيل ويشير هيلموت كويستر — أستاذ التاريخ المسيحي بجامعة هارفارد — إلى أن تاريخ تدوين هذا الإنجيل يعود لمنتصف القرن الأول الميلادي.

لم تكن مكتبة نجع حمادي هي أول كتابات مسيحية يتم اكتشافها في مصر، فهناك العديد من الكتابات الأخرى التي عثر عليها في صورة مخطوطات من البردي أو قصاصات أو مجلدات باللغة القبطية وباللغة اليونانية مثل حوار بين المسيح وبين تلاميذه — وكان هناك عدة نساء بين التلاميذ — ومخطوط آخر تضمن ما عرف باسم إنجيل مريم ، وآلاف من المخطوطات الأخرى ، "ومما لا شك فيه أن أقدم الكتابات المسيحية الموجود الآن في العالم، بما في ذلك نسخ العهد الجديد المعتمدة، وجدت كلها على أرض مصر، وليس هناك نص واحد ينتمي إلى القرون الثلاثة الأولى للميلاد، تم العثور عليه خارج أرض مصر" — مخطوطات البحر الميت- أحمد عثمان.

مكتبة نجع حمادي القبطية. الأناجيل القبطية لا تعرف محاكمة بيلاطس ولا تعترف بالصليب الروماني

تتفق بشارات العهد الجديد الأربعة المعتمدة على وقوع حادثة الصلب بأمر الحاكم الروماني بونتياس بيلاطس في ثلاثينيات القرن الميلادي الأول، أما كتابات نجع حمادي فقد خلت من ذكر بونتياس بيلاطس ذاته، أما حادثة الصلب، فقد جاءت عنها بعض الأخبار، بعضها يشير إلى زيفها والسخرية من مردديها ، وبعضها يشير إلى أن القتل قد وقع للبديل الذي هو جسد يسوع المسيح .

عموماً دعونا نقرأ بعضاً مما ذكرته مكتبة نجع حمادي القبطية عن موت يسوع:

في كتاب (كشف) بطرس Apocalypse of Peter يقول (الكتاب لا يحتوي على فقرات مرقومة): "وقلت ما هذا الذي أراه يا سيدي؟ ، أهذا أنت نفسك الذي يأخذونه ؟ وأنت الذي تمسكني بقوة ؟ أو من هذا الشخص الذي يضحك سعيداً أعلى الشجرة؟ ، وهل هو شخص آخر الذي يخرقون يداه وقدماه ؟

قال المخلّص لي: هذا الذي تراه على الشجرة يضحك سعيداً هو المسيح الحي. وهذا الذي يدقون المسامير في يديه وقدميه هو جسده المادي الذي هو البديل يوضع في العار، الذي بقي في شبهه(يمكن وضع هذه الجملة في هذه الصورة : الذي هو البديل الذي بقي في شبهه يوضع في العار)، لكن.. انظر إليه وانظر إليّ.

والنص الإنجليزي لهذه الفقرة هو .ز حيث أن الترجمة قد تكون خادعة :

The Savior said to me, "He whom you saw on the tree, glad and laughing, this is the living Jesus. But this one into whose hands and feet they drive the nails is his fleshly part, which is the substitute being put to shame, the one who came into being in his likeness. But look at him and me."

وعندما نظرت قلت : سيدي ، لا أحد ينظر إلينا ، دعنا نغادر هذا المكان"

وفي كتاب آخر بعنوان " المقالة الثانية ليست الأكبر" يقول :

"كان شخص آخر، أباهم، الذي شرب المرارة والخل، لم يكـن أنـا، ضـربوني بالقصبة، كان آخر، سيمون، الذي حمل الصليب على كتفه، وكنت شخص آخـر غير الذي وضعوا إكليل الشوك على رأسه، وكنت أنا مبتهجاً في الأعالي فوق ثروة حاكمهم ونسل خطاياهم ومجدهم الزائف، أضحك لجهلهم" .

وبحسب ما جاء في كتاب آخر بعنوان "مقالة القيامة" فإن المسيح مات كـأي شخص آخر ولكن روحه المقدسة هي التي لا يمكن لها أن تموت.

والحقيقة ، أنني أرى أن النصوص المتعلقة بحادث الصلب تـدعو إلى الارتبـاك بشدة ، فهل هو شخص آخر؟ هل هو سيمون ؟ أم أنه جسد المسيح؟ وهل مـات المسيح؟ أم أنه كان في الأعالي؟ ، وهل الأعالي هي الشجرة؟ ، هل هي أسطورة؟ أم أنها حقيقة؟ ، تناقضات كثيرة وأسئلة كثيرة لا يستطيع أحد أن يدعي أنه قادر على إجابتها ، فمكتبة نجع حمادي تضم ٥٣ مجلد وقراءتهم فضلاً عن دراستهم ، وحـتى من قاموا بدراسة هذه المخطوطات لم يتوصلوا إلى شيء سوى مزيد من الغمـوض وكل يسعى لإثبات وجهة نظره المسبقة، لكن يكفينا أن نعرف أن نفـس الجـدل القائم حالياً حول المسيح ، كان قائماً منذ بدأت المسيحية.

وقد كان الصليب هو رمز المسيح في الأناجيل القبطية ولكنه لم يكن للدلالة على الطريقة التي مات بها ، وقد كان الصليب الذي وجد مرسوماً على أغلفة مجلـدات نجع حمادي هو مفتاح عنخ الفرعوني ـــ ويعني مفتاح الحياة ـــ والذي ظل سائداً بين المسيحيين الأوائل حتى استبدلته الكنيسة الرومانية بالصليب المعروف حالياً ، وتطور الأمر في القرن الخامس بعد أن وضعت الكنيسة صورة لجسد المسيح مصلوباً علـى ذلك الصليب الخشبي.



وفي كتاب بعنوان " شهادة الحق" يقول ": مثل إشعياء الذي نشر بالمنشار وأصبح نصفين، كذلك ابن الإنسان يقسمنا بكلمة الصليب، كما يقسم النهار من الليل والنور من الظلام، والصالح من الطالح والمرأة من الرجل، فإشعياء هو نوع الجسد والمنشار هو كلمة ابن الإنسان التي تفصلنا عن خطايا الملائكة" .

يرى إينوك باول في كتابه "تطور الأناجيل" أن قصة صلب المسيح لم تكن موجودة في النص الأصلي للأناجيل المعتمدة، حيث قام بدراسة النص اليوناني الأصلي لبشارة متى ، فتبين له أن هناك أجزاء قد وردت مكررة مما يوحي بأنها أعيدت كتابتها، ومنها محاكمة المسيح أمام الكاهن الأكبر، التي تعود وتتكرر وبنفس الكلمات مع فارق واحد، هو أنها في المرة الأخيرة تنتهي بصلب المسبح، وهو ما يراه باول تكرار مع إضافة حدث، ويرى أن النتيجة الطبيعية لإدانة المسيح أمام الكهنة كان يجب أن تكون الرجم وليس الصلب.

ويرى أن باقي البشارات الأربع قد نقلت قصتها عن بشارة متى، ويرى أن قصة الصلب لا يوجد لها أي مصدر آخر غير هذه البشارات ، فلو ثبت أنها قصة رمزية وليست حدثاً تاريخياً لأدى ذلك إلى إعادة النظر في ما تقدمه البشارات من معلومات تاريخية لتصبح مجرد قصص رمزية.

ويرى باول أن ما جاء في بشارة متى ليس سرداً تاريخياً ولكنه جدل لاهوتي بطريقة الرمز والمجاز، ويرى أن الكنيسة الرومانية هي التي سعت لتحويل هذا الرمز إلى حقيقة تاريخية لأنها تستمد شرعيتها كمتكلم باسم المسيح من التفويض الذي منحها إياه بطرس ، وبطرس حصل على تفويض من المسيح بعد قيامته في اليوم الثالث.

والأدهى والأمر هو أنه لا يوجد أي دليل محايد على زيارة بطرس لروما كما تزعم الكنيسة الرومانية ، بل توجد إشارات تشير إلى موته في السجن بمدينة القدس عام ٤٠ ميلادياً.

ويرى أيضاً أن قصة الصليب لم تصبح على ما هي عليه الآن إلا بعد فترة طويلة من بدء المسيحية ويرى أن المسيحية اقتبست مفهوم الصليب من مفتاح عنخ الفرعوني.

ويشير في كتابه إلى أمر هام جداً وهو أن ذكر اسم مدينة الناصرة في البشارات أمر غريب من وجهة نظره لأن التاريخ لم يعرف هذه المدينة إلا في القرن الرابع الميلادي، ويرجح أن الأصل كان كلمة النصارى والذي يشير إلى أتباع المسيح وليس مدينته.



تختلف المسيحية الغنوصية عن المسيحية المعروفة لدينا حالياً اختلافاً شاسعاً رغم اتفاقهما حول كثير من الشخصيات والأحداث والأفكار، ويبدو للقارئ في تراث هذه الكنائس الغنوصية أن معتقداتها أقرب لأن تكون مزيجاً غريباً في بعض الأحيان ورائعاً في أحيان أخرى من العقائد والأديان المختلفة التي كانت سائدة ومنتشرة في الإمبراطورية الرومانية في الفترة من ٣٠٠ سنة ق.م ، وحتى القرن الرابع بعد الميلاد.

فالمسيحية الغنوصية تتفق مع الأديان التوحيدية في وجود إله مطلق "يلدابوث" Yaldaboath، ولكنها لا تخلو من كيانات إلهية متعددة، بعضها يتصارع مع البعض الآخر، بل وبعضها مريض نفسياً، وهذه الأفكار تبدو مقتبسة من العقائد الإغريقية.

الإله المطلق في الغنوصية يختلف كثيراً عن الإله المطلق في الذي نعرفه في الإسلام والمسيحية واليهودية، فهو لا يكترث كثيراً أو قليلاً بالإنسان وشئونه، وقد قام هذا الإله المطلق "يلدابوث" الذي يلقب أحياناً بالإله الحق بخلق مجموعة من الكيانات الإلهية الأخرى تعرف باسم "آيونات" Aeons.

إحدى هذه الآيونات هي صوفيا Sophia العذراء، وهي ترمز إلى الحكمة وإلى السماوات أيضاً، وصوفيا من أهم شخصيات المذاهب الغنوصية بصفة عامة، التي أنجبت بدورها إلهاً مشوهاً أقل شأناً يعرف باسم ديميرج Demiurge وهي كلمة يونانية تعني "الصانع الماهر" Public craftsman ، وهذا الديميرج هو خالق أو صانع هذا العالم الذي نعيش فيه، وهو إله العهد القديم، وينظر إليه العرفانيون الغنوصيون على أنه شرير ، ممتلئ بالحسد والبغض والكراهية والقسوة.

وقد وضع ديميرج الإنسان في هذا السجن الرهيب المسمى بالعالم، رغبة منه في إظهار تفوقه على بقية الآيونات الإلهية حيث أنه يظن أن الأقوى والأقدر والأعظم،

وقضبان هذا السجن هي عبارة عن القوانين الفيزيقية و القوانين الأخلاقية التي يطلق عليها الغنوصيون الكود الموسوي (الوصايا العشر).

وجدير بالذكر أن كل عمليات الخلق أو الميلاد (كمولد ديميرج من صوفيا) التي تمت في عالم الآيونات، يتم تصويرها كانقسامات كونية، كظهور النور ثم الظلال نتيجة لوجود جسم ما ، وهو موضوع طويل سوف نشرحه بالتفصيل في دراستنا التي نعدها حول العقيدة الغنوصية.

إن الآيونات الإلهية في المذاهب الغنوصية لا تقتصر على صوفيا وديميرج، فالمسيح Christ هو أحد الآيونات الإلهية، ويرى بعض الباحثون أن المسيح هو الصورة الذكورية من صوفيا الأنثى، أو أنهما توأمين، وهو أمر جدير بالاهتمام والدراسة، حيث أن الغنوصية تعلي من شأن المرأة بصورة غير مسبوقة في العقائد الإبراهيمية، كما توجد آيونات إلهية أخرى بعضها لم يهتم بعالمنا إطلاقاً كما يفعل يلدابوث، وحتى الآن لم نقف على عدد الكيانات الإلهية "الآيونات" عند الغنوصيين.

يفرق الغنوصيون بين المسيح وبين يسوع، فيسوع هو شخص عادي جداً، أما المسيح فهو آيون إلهي، والحقيقة أنه يبدو للباحث أن طبيعة المسيح ويسوع كانت محل جدل طويل بين الغنوصيين أنفسهم، ولا نعرف على وجه التحديد هل حسموا أمورهم فعلاً بشأن يسوع والمسيح أم لا.

إلا أنه من الواضح أن يسوع لم يكن يلعب دور المخلص Savior كما تصوّره العقائد المسيحية الشائعة، ولكنه كان كاشفاً أو موضحاً ، لأن طريق الخلاص يكمن في المعرفة (الغنوصية تعني العرفان أو المعرفة) وفي معرفة الذات على وجه التحديد، وسبب تأخر وصول المسيح إلى الأرض هو أن صوفيا كانت منفية بصورة أو بأخرى في بعد كوني مختلف ولم تتخلص من منفاها إلا في هذه الفترة ، وهذه أيضاً قصة أخرى يطول شرحها .

قصة خلق آدم يبدو أنها تحمل أبعاداً رمزية واضحة، فأدم عندهم يبدو وكأنه كناية للجنس البشري وليس شخصاً محدداً ، والحية التي حثت آدم وحواء على الأكل من شجرة المعرفة يعتبرها الغنوصيون رمزاً للخير وأنها بحثها الإنسان على الأكل من شجرة المعرفة، لم تكن تفعل أكثر مما جاء المسيح ليفعله ، لتحرير الإنسان من أسر العالم المادي الذي وضعه الإله ديميرج.

ويبدو أن الحية قد تكون هي صوفيا أو المسيح وربما تكون أحد الآيونات الإلهية الأخرى.

ويرى بعض الباحثون أن بعض الجماعات الغنوصية كانت تعتبر المسيح هو "فيض إلهي" أرسله يلدابوث لتخليص العالم من ظلم ديميرج ، والذين يرون ذلك يحتجون بأن المسيح يجب أن يكون صادراً عن قوة أكبر من قوة ديميرج.

وهنا يجب أن أشير إلى أن الجماعات الغنوصية التي انتشرت في أرجاء الإمبراطورية الرومانية حتى تم القضاء عليها تماماً في القرن الخامس، كانت متعددة ومختلفة في الكثير من العقائد، إلا أنها كانت تتميز بالتسامح فيما بينها وبين العقائد الأخرى وتميزت هذه الجماعات أيضاً بالمساواة الكاملة بين الرجل والمرأة، فكثير من تلاميذ المسيح المقربين كانوا نساءً، ومنهم مريم المجدلية التي كان يسوع المسيح يقبلها في فمها كثيراً أمام بقية التلاميذ الذين شعروا بالغيرة منها كما جاء في إنجيل فيليب من مكتبة نجع حمادي، وقد أخبرهم يسوع المسيح بأن مريم المجدلية هي أحبهم إلى قلبه.

بطبيعة الحال ، لا يمكن شرح الغنوصية المسيحية في هذه العجالة ، إلا أنه يكفي أن أشير إلى أنها قد حملت في عقائدها خليطاً فريداً من العقائد اليهودية والرومانية والإغريقية والفارسية والمصرية ، وعقائد أخرى متعددة ، فكيف تحقق ذلك الخلط الفريد وأين؟!



اهتم البطالمة الذين حكموا مصر بعد موت الإسكندر المقدوني بتأسيس دعائم حكماً قوياً، واهتموا بشتى مظاهر الثقافة والعلوم والآداب والفنون، وشجعهم على ذلك أيضاً روح التحدي لجامعات أثينا، فأنشأ البطالمة بإيعاز من دميتريس فليرم الذي لجأ إلى مصر بعد أن طرد من أثينا في عام ٣٠٧ ق.م. وقد اقترح دميتريس على بطليموس الأول والثاني إنشاء متحفاً أي بيتاً لربات الفنون والعلوم، كما يبدو أنه قد ألهم نشاط أرسطو في جمع الكتب وضروب المعرفة وتصنيفها، كما أنه لم يكتفي بذلك، بل أشار على البطالمة بأن ينشئوا مجموعة من المباني الملحقة تتسع لإيواء العلماء والباحثين، الذين يكرسون حياتهم للبحث العلمي، واقتنع البطالمة بهذه الفكرة وأمدوا ديمتريس بالمال اللازم لإتمام هذا المشروع العظيم، وبالفعل قامت الجامعة الجديدة على مهل بالقرب من القصور الملكية، وضمت هذه الجامعة بين جنباتها المكتبة الشهيرة، بالإضافة إلى المتحف، وقاعات الدرس والمعيشة للعلماء الباحثين ومرصداً فلكياً بالإضافة للحدائق والأروقة، وقد ألحق بهذه الجامعة معبد السرابيوم الذي خصص لعبادة الإله سرابيس **Sarapis** أو **Serapis** والذي يعد مزيجاً يونانياً من الإله المصري أوزوريس والإله الإغريقي زيوس، فقد حاول بطليموس الأول توحيد المصريين واليونانيين تحت عبادة الإله سرابيس بقوله أن أوزوريس وزيوس هما إله واحد.

وقد شجع بطليموس الثاني الباحثين والعلماء على القدوم إلى مدينة الإسكندرية للمساهمة في الأنشطة العلمية لجامعته الناشئة، فوفر لهم كل سبل المعيشة والراحة المادية، وعمل على جلب العلماء والمترجمين والكهنة من شتى أصقاع العالم، وتحولت مدينة الإسكندرية الجميلة إلى أول وأهم مدينة عالمية **Cosmopolitan** يعرفها التاريخ، وأصبحت مركز الحضارة الهيللينية (اليونانية) وثقافتها، فضمت الجامعة الجديدة باحثين من اليونان وروما ومصر وفارس والهند واليهود وبابل وبلاد العرب

والزنوج، كما أن مدينة الإسكندرية ذاتها كانت تحتوي على كثير من هذه الأجناس يتعايشون معاً، صحيح أن الأحياء كان يغلب عليها طابع معين، كحي راكتوس المصري والحي اليهودي والحي الملكي والحي اليوناني، إلا أنه من المؤكد أن المدينة كان يقطنها بصفة دائمة بعض من العرب والهنود والزنوج والفرس والرومان إضافة طبعاً إلى اليهود الذين بلغ تعدادهم خمس سكان المدينة في بدايات التأريخ الميلادي وكان تعدادهم وقتها في مدينة الإسكندرية وحدها يقترب من المائة ألف شخص، ويقدر بعض المؤرخون عدد اليهود في مصر كلها في القرن الأول الميلادي بما يناهز المليون نسمة، وهو ما يعني أن اليهود الذين كانوا يقيمون في مصر كانوا يضاهون (إن لم يزيدوا عن) اليهود المقيمين في فلسطين في هذه الفترة ذاتها، وجدير بالذكر أن اليهود تحديداً كانوا أكثر الأجناس انغلاقاً وانعزالاً عن غيرهم، وهو ما أدى إلى كثرة الانشقاقات داخل صفوف اليهود وتمرد كثير منهم على الطقوس والتعاليم التقليدية للديانة اليهودية، وسعى آخرون لتطويرها وللتعايش مع الأجناس الأخرى، وهو الأمر الذي وصل إلى تقديم القرابين لآلهة الأوليمب في بعض الأحيان.

وسط هذا المناخ الفريد نشطت حركة الترجمة وتدوين الكتب بشكل غير مسبوق، إضافة إلى البحث العلمي والتبحر في شتى ألوان المعرفة، من آداب وفنون وعقائد وأديان وفلسفة وفلك ورياضة وطب وطبيعة وكيمياء .. إلخ، فقد خلقت مدينة الإسكندرية بجامعتها ومكتبتها المناخ الملائم لهذا الامتزاج والتداخل بين مختلف الثقافات في جو تسوده روح البحث والمعرفة.

وقد تأثر المناخ الديني في العالم القديم بما يدور في مدينة الإسكندرية وما حولها، فكثرت المذاهب الفلسفية المشككة في الآلهة السائدة، ففي عام ٣٠٠ ق.م نشر أوفمرس الصقلي كتابه المسمى "السجلات المقدسة" والذي قال فيه أن الآلهة إما أن تكون قوى طبيعية جسدها الناس أو أن تكون – وهذا هو الأغلب الأعم – أبطالاً آدميين وألههم خيال الشعب وعبدهم اعترافاً بفضلهم على البشر والأساطير هي استعارات وتشبيهات وأن الاحتفالات الدينية هي مراسم لتخليد ذكرى الموتى.

ولم يسترح كثير من الفلاسفة والناس بصفة عامة لمناخ التشكيك في الإلوهيـــة ، لأنه يخلق خواءً روحياً عند العوام ، كما أنه قد يؤدي إلى فساد الأخلاق، وانطلاقها بلا عقال.

وقد سعى الفلاسفة لصياغة تصورات مختلفة تجمع ما بين المعارف العلمية والروحانية الدينية، فظهرت أفكار كوحدة الوجود في صيغة لا تتعارض صراحة مع العقائد السائدة، وبدأت تنتشر في أثينا ذاتها العقائد التي تبشر بالجنة وتنذر من الجحيم مما حذا بالفيلسوف أبيقور بأن يندد بالأديان التي تفسد متعة الحياة.

وانتشرت عبادة إيزيس (أم الإله) وأوزوريس في صورته الجديدة (سرابيس) الإله المحبب لدى المصريين، في شتى أرجاء العالم القديم، في أثينا وعلى ضفاف الدانوب والسين وفي الجزر البريطانية.

فانتشرت تماثيل وأيقونات الإلهة إيزيس وهي تحمل وليدها حورس في شتى أرجاء الإمبراطورية الرومانية ونفس هذه التماثيل والأيقونات استخدمها المسيحيون بعد ذلك للدلالة على مريم العذراء وهي تحمل وليدها يسوع المسيح.

كما انتشرت عبادة آلهة أخرى كالإله مترا **Mithra** القادم من بلاد فارس والذي كان إلهاً مفضلاً للجنود الرومان، وهو مولود من عذراء وللصدفة كان ميلاده في الخامس والعشرين من ديسمبر ولمزيد من المصادفات السعيدة كان يومه المقدس هو يوم الأحد، هذا ناهيك عن عشاءه الأخير وموته ثم قيامته وصعوده إلى السموات ، قد تضمنت عبادة كلاً من أوزوريس (في شكله الجديد سرابيس) ومترا طقوس التعميد بالماء، التي تضمن للتابع الخلاص والحياة الأبدية.

كما انتشرت عبادة أشكال أخرى عديدة من الآلهة، والملفت للنظر أن أماكن انتشار عبادة هذه الآلهة كانت متقاربة ومتداخلة إلى حد بعيد، فقد كان مركز انبعاث كل هذه الأديان والثقافات هو .. مدينة الإسكندرية.

في بداية التاريخ المسيحي يبدو جلياً أن المسيحية قد انتشرت أو نشأت بين أتباع سرابيس في مصر، فلم يكن أتباع سرابيس أو كهنته يفرقون بينه وبين يسوع المسيح، ففي عام ١٣٤ بعث الإمبراطور الروماني هاديان برسالة إلى زوج أخته يقول له فيها:

" أنت تمتدح مصر يا عزيزي سيرفانيوس!، لقد عرفت أرضها من الشمال إلى الجنوب ... فيها يسمي عبدة سرابيس أنفسهم مسيحيين وأولئك الذين يطلقون على أنفسهم لقب أساقفة المسيح يدفعون النذور إلى سرابيس كذلك، وعندما يأتي البطريق ذاته إلى مصر يعتبره البعض مؤمناً بسرابيس، بينما يعتبره البعض الآخر مؤمناً بالمسيح ".

١٢) ... " جدير بالذكر أن جميع القادة العظام للديانات الكبرى في العصر القديم كانوا مريدين لنظام الأسرار المصري، ابتداءاً من موسى – الذي كان كاهناً مصرياً – وصولاً إلى المسيح " ، التراث المسروق – جورج جي. إم. جيمس

بحلول النصف الثاني من القرن الأول للميلاد، كان السرابيون (أتباع سرابيس) قد انتشروا في كافة أنحاء العالم، ويحدثنا فيلو السكندري في كتابه عن الحياة التأملية عن أتباع سرابيس بأنهم مواطنو السماء الذين قبلهم الرب خالق العالم، وذكر أن السرابيين كانوا قد انتشروا في شتى أرجاء العالم المتحضر إلا أنهم كانوا كثيرين في مصر خاصة حول الإسكندرية، ويذكر يوسيبوس أسقف قيصرية في تأريخه لتاريخ الكنيسة المسيحية، أن السرابيين كانوا يشكلون أقدم كنيسة مسيحية في مصر.

وظل معبد السرابيوم هو المركز العالمي للعبادة والحكمة والمعرفة بما احتواه من نفائس وذخائر وبقايا مكتبة الإسكندرية وجامعتها، إلى أن حطمه المسيحيون الرومان عام ٣٩١ ميلادياً.

لم يكن ما يدور في مصر وفي مدينة الإسكندرية تحديداً، بعيداً عن أرض فلسطين، فمصر التي كان يعيش بها زهاء المليون يهودي، كانت تربطهم بأرض فلسطين

وبمدينة القدس روابط لا يمكن تجاهلها أو التغاضي عنها، رغم أن اليهود المصريين قد أقاموا لهم هيكلاً غير هيكل أورشليم للتعبد فيه وممارسة طقوسهم المختلفة.

ويبدو أن رياح التغيير والثورة اليهودية ضد الرومان بل والآمال المشحانية اليهودية كانت تهب من مصر في أغلب الأحيان، فناهيك عن أسفار الأبوكريفا من العهد القديم التي كتبت كلها تقريباً في مصر، من قبل اليهود المقيمين في مدينة الإسكندرية تحديداً، والتي تشكل في حد ذاتها ثورة فكرية على كثير من الأفكار اليهودية التقليدية في هذا الوقت، كما أنها تشكل بصورة أو بأخرى خط دفاعي للديانة اليهودية أمام أفكار الفلاسفة الإغريق والفرس والمصريين وغيرهم.

ويحدثنا التاريخ عن المصريين الذين قادوا ثورات يهودية ضد الرومان في أرض فلسطين، فهاهو يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير يقول في كتابه "حروب اليهود" في الفقرة الخامسة من الجزء الثالث عشر من الكتاب الثاني

" لكن كان هناك نبي مصري كاذب، تسبب لليهود في مآسي أكثر ممن سبقه، لأنه كان محتالاً، وادعى النبوة أيضاً، وجمع حوله ثلاثين ألف رجلاً مخدوعين به، وقد قادهم من البرية، إلى ذلك الجبل الذي يعرف بجبل الزيتون، وكان مستعداً للانقضاض على أورشليم بالقوة من هذا المكان، ولو تمكن من هزيمة الحامية الرومانية والشعب، فإنه كان ينوي الاستبداد بهم بمساعدة رجاله الذين استعدوا للانقضاض على المدينة معه، لكن فيليكس (الحاكم الروماني ٥٢-٦٠ م) أحبط محاولته، والتقى به مع جنوده، بينما عاون الكثير من أفراد الشعب ذلك المصري في هجومه على الرومان، وما أن التقت الجموع، حتى فر المصري مع بعض أتباعه، وهزمت قواته وقتل الكثير منهم بينما أسر آخرون، وفرت الجموع للاختباء في منازلها"

وجدير بالذكر أن هذا المصري قد اختفى ولم يعد يعرف مصيره، وأظن أنه هو نفس المصري الذي يذكره سفر أعمال الرسل " إِذَنْ لَسْتَ أَنْتَ ذَلِكَ الْمِصْرِيَّ الَّذِي أَحْدَثَ اضْطِرَاباً فِي الْمَدِينَةِ مُنْذُ مُدَّةٍ، وَتَزَعَّمَ أَرْبَعَةَ آلافِ رَجُلٍ مِنَ الْقَتَلَةِ

خَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ!» أعمال الرسل(٢٢-٣٨) وربما يكون مصري آخر، فعدد أتباع المصري الذي يذكره يوسيفوس أكثر بكثير من أتباع مصري أعمال الرسل، لكن ربما يكون المتحدث الروماني يحقر من شأنه بتقليل عدد أتباعه، وربما يكون يوسيفوس هو الذي يبالغ في شأنه، كما أن هناك تقارب في الفترة الزمنية بين الحادثين، فقد عاد بولس إلى أورشليم في أواخر عهد فيليكس الحاكم الروماني (يقال أنه عاد في عام ٥٨م).

لم يكن اليسوعيين (الآسنيين) بعيدين عما يدور في مصر وعن الصراعات الفكرية والجدل العقائدي، وأيضاً كانوا يرفضون الخط التقليدي لليهود في أرض فلسطين، وتشير كثير من الدلائل إلى وجود روابط وصلات مختلفة بين جماعات اليسوعيين في قمران وغيرها، وبين اليهود في الإسكندرية ومصر عموماً، كالأوعية الفخارية المصنوعة في مصر، وكأسفار الأبوكريفا التي كانت تضمها الترجمة السبعينية اليونانية، ولم يعترف بها مجمع اليهود الفريسيين في نهاية القرن الأول الميلادي، بينما كان يضمها اليهود اليسوعيون إلى مكتبتهم.

ومما لا شك فيه بين الباحثين والمحققين أن اليسوعيين اليهود ينتمون بشكل أو بآخر إلى الجماعات الغنوصية الروحانية، وأن تعاليمهم الروحية تحتوي على الكثير من الأفكار الغنوصية، رغم كونهم يهوداً ورغم عدم إيمانهم بيلدابوث والآيونات وما إلى آخر هذا الكلام الذي ذكرناه بشأن الجماعات الغنوصية المسيحية.

جاء في تحقيق الجزء الأول من مخطوطات قمران للباحث الفرنسي أندريه دوبون Andre Dupont وآخرون ، في شرحه لتعاليم الطهارة والاغتسال عند اليسوعيين (الآسنيين) .

" إن ما نجده في دستور الجماعة من تعليم "حول الروحين" هو أساس الموقف السلبي تجاه خيرات الأرض والذي يتفق مع متطلبات التطهر، لا بل ومع نظرة متكاملة إلى العالم. فالنظام الذي فرضه الله منذ الأصل على العالم نظام مزدوج. [فقد أوجد للإنسان روحين ... هما روحا الحق والضلال].



ويتطابق هذان الروحان مع "أمير النور" ومع "ملاك الظلام". وتنعكس هذه الثنوية الجوهرية على انقسام البشر في كل جيل إلى قسم تابع لروح الخير وآخر تابع لروح الشر. ويظل الصراع بينهما عبر التاريخ غير محسوم حتى نهاية الأزمنة عندما يتغلب أبناء النور على أبناء الظلمة في صراع رؤيوي أخروي نجد وصفه في تنظيم الحرب.

وعلى الرغم من أن الآسنيين يرون أن الله هو الخالق الوحيد، لكن هذه الثنائية تأخذ ألواناً شبه ميتافيزيقية طالما أنهم شخصنوا بمقابل روح الله روح الشر المدعو غالباً بلعال، وكانوا يقبلون أن هذا الأخير كان له مثل الله ملائكته وجيوشه، ويكون للمؤمنين الأنصار دورهم ليلعبوه في معسكر الله" أهـ.

كما أن العلاقة بين اليسوعيين وديانة الصابئة المندائية لا يمكن تجاهلها، فالآخرين هم من تبقى من أتباع النبي يحيى (يوحنا المعمدان)، علماً بأن ديانة الصابئة المندائية هي الديانة الغنوصية الوحيدة التي كتب لها البقاء بشكل متصل حتى اليوم ، ونجد أتباعها يسكنون العرق ، ويمارسون جميع طقوسهم وعباداتهم .



الخاتمة

تعرضنا في هذا الموضوع لصورة مختصرة مما كـان يعتمـل في المنـاخ الثقـافي والفكري والديني من اضطراب وغليان قبل ظهور المسيحية بقرون ثلاثـة وحـتى القرن الثالث أو الرابع الصليبي، اعتماداً على اكتشافين أثريين في غاية الأهمية، هما مخطوطات قمران التي وضّحت لنا صورة قريبة من فكر يهودي "منشق" على الفكر الرسمي للمؤسسات اليهودية الرسمية في هذا العهد (الـصدوقيين) ، وللمؤسـسات اليهودية التي استمرت بعد ذلك (الأحبار الفريسيين).

والاكتشاف الآخر هو مكتبة نجع حمادي القبطية، الذي منح الباحثين صورة قريبة وغير مسبوقة عن العقائد والأفكار الغنوصية التي ظهرت للوجـود قبـل التـأريخ الميلادي بأكثر من قرن من الزمان، واستمرت في الوجود بل والازدهار حتى قضت عليها الكنيسة الرومانية في القرنين الرابع والخامس الميلاديين (وهي الفترة التي قـام فيها الرهبان البخوميين بحفظ وإخفاء كتبهم في مكتبة نجع حمادي).

ورأينا كيف أن لكثير من العقائد والممارسات المسيحية بل والأسماء أيضاً ، بما في ذلك اسم يسوع ذاته، أصول منقولة عن اليهودية والوثنية الهيللينيـة ، وأن هـذا المزج بين تلك الثقافات المختلفة قد حدث في مصر وفي مدينة الإسكندرية على وجه التحديد، وبسبب جامعتها ومكتبتها الشهيرة.

وعرفنا أن فترة ظهور المسيحية كانت فترة اضطراب وغليان سياسي وديـني، وكانت الآمال المشحانية (نسبة إلى المشيح اليهودي) وتوقـع ظهـور "المخلـص" يسيطران على العقول والأفئدة، ليس لدى اليهود فحسب، بل لدى جميع الطوائف والعقائد والأديان تقريباً .

باختصار كان الجميع يبحث عن الخلاص، كل بطريقته ، وعندما ينتظر الناس شيء ما، قد يسعى البعض لتحقيق هذا الشيء المنتظر، تماماً كما يسعى البعض لتمهيد الطريق لمجيء المسيح الثاني، أو لتمهيد الطريق لقدوم المهدي المنتظر .. إلخ.

ويبدو أن هذا هو ما حدث، فبولس الرسول المشيحاني، هو صاحب الفضل الأول باتفاق معظم الباحثين في نشر المسيحية ونشر تعاليمها، بولس ذلك اليهودي الذي كان ينتمي للفريسيين ويضطهد المسيحيين ، تحول بين يوم وليلة إلى صاحب الفضل في نشر المسيحية !!

وقد قضى بولس بعد تجربة التحول الفريدة التي مر بها في طريقه إلى دمشق، ثلاثة سنوات في العربية (التي أظن أنها كانت في سيناء، فبولس كان يَعتبر أن جبل موسى في العربية أيضاً) والثلاثة سنوات هذه هي الفترة التي تتطلبها جماعة اليسوعيين لقبول الأعضاء الجدد بينها، وليحصلوا بذلك على العضوية الكاملة ، وعلى أسرار الجماعة، كما أن كثيراً من الجماعات الغنوصية كانت تطبق نفس هذه الفترة على الأعضاء الجدد .

فهل قضى بولس سنواته الثلاث في العربية ،

مع أحد الجماعات اليسوعية أو الغنوصية؟

وبعد أن عاد بولس إلى طرسوس قضى ثماني سنوات لا يعرف عنها التاريخ شيئاً قبل أن يتوجه إليه برنابا طالباً مساعدته في الخدمة والتبشير في أنطاكية .

فما الذي تعلّمه بولس في هذه السنوات الثلاثة في العربية ؟

وهل تأثر "بولس الجديد" بالأفكار الهيللينية في طرسوس بعدما "ولد من جديد"؟

ففكرة أن الله قد مات من أجل أتباعه وقيامته من قبره بعد ذلك ، كانت منتشرة في طرسوس كما في سائر المدن اليونانية ، نتيجة للفلسفة الرواقية كما يقول وول ديورانت في قصته للحضارة .

أظن أن بولس (شاؤول) اليهودي المتعصب، كان قد تغيّر فعلاً أثناء رحلتـــه إلى دمشق (كانت دمشق على وجه الخصوص تمتلئ باليسوعيين ، وكـــانوا يعتبرونهـــا مركزهم أو مركز العهد الجديد كما كانوا يطلقون على جماعتهم ، رغم أن البعض يرى أن "دمشق" قد تكون مجرد رمزاً) وأنه قد سعى لتجسيد كل هذه الأفكار التي كانت تعج بها المنطقة، وأنه لم يتخل قط عن يهوديته، بل عمل على مزجها بالعقائد الأخرى المنتشرة في الإمبراطورية الرومانية ، وأظن أنه قد نجح.

~*~

ومثلما كان بولس قديماً

فإننا أبداً لن نعدم بولساً جديداً

يفعل في أمتنا كما فعل أسلاف أتباع بولس القديم .

وبالله التوفيق وعلى الله قصد السبيل

وصلى اللهم على نبيك محمداً وسلم تسليماً كثيراً

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أبو إسلام